

מדינת ישראל

המדינה

محمود شقير
"مديح لمرايا البلاد"
(يوميات)
*

الطبعة الأولى (2012)
جميع الحقوق محفوظة
*

دار الجندي للنشر والتوزيع
القدس



00972542263454

info@aljundi.biz

www.aljundi.biz
*

التصميم والإخراج الفني
الريشة

*

لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب، أو أي جزء منه، أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات، أو نقله بأي شكل من الأشكال، بدون إذن خطي من الناشر.

All rights reserved. No part of this publication may be reproduced or transmitted in any form or by any means, electronic or mechanical, including photocopy, recording, or any information storage and retrieval system, without the permission in writing from the publisher.

يوميات

محمود شقير

مديح لمرايا البلاد

1996

"نحن لا نطلب من مرآتنا غير ما يشبهنا"

محمود درويش

الثلاثاء 4/16

أبدأ في تدوين يومياتي، بعد ثلاث سنوات من عودتي إلى الوطن. قلت للصحافيين الذين سألوني عما سأفعله بعد العودة: سأكتب وأكتب وأكتب. كان هذا يعني أنني أقدر قيمة الكتابة وأعي أهميتها، غير أن هذا الوعد الذي قطعته على نفسي لم يتحقق على النحو المطلوب.

صحيح أنني كتبت في السنوات الثلاث الماضية، مقالات سياسية وأدبية، وشاركت في ندوات أدبية وسياسية في القدس ورام الله وغيرهما من المدن الفلسطينية، وتمكنت خلال هذه السنوات الثلاث من الانخراط في تفاصيل المشهد الثقافي الفلسطيني الراهن، غير أن هذا كله لا يستجيب تمامًا للوعد الذي قطعته على نفسي.

وصحيح أنني كتبت نصًا مسرحيًا تم عرضه في مدن فلسطينية عدة، وأنني، عبر قراءاتي الواسعة، رحت أعد نفسي لكتابة إبداعية متصلة، غير أنني لم أكتب قصصًا حتى الآن. آخر مجموعة قصصية صدرت لي في الخارج، كانت في العام 1991، وبعدها لم أكتب قصصًا، وأنا مكرّس في

الحياة الثقافية الفلسطينية باعتباري كاتبًا للقصة القصيرة، فأين الوعد الذي قطعته على نفسي؟

منذ أسابيع، بدأت كتابة قصة طويلة للفتيات والفتيان. قد تكون هذه بداية ملائمة لاستعادة نشاطي في الكتابة الإبداعية، غير أنني لست واثقًا من ذلك، ولذلك، فأنا أشعر بعدم ارتياح، وعليّ أن أراقب موقعي من الكتابة، وأن أفكر على نحو جدي بتوفير ما أمكن من الشروط التي تجعلني قادرًا على العودة المنتظمة للكتابة.

لعلّ هذه اليوميات، تسهم في شيء من ذلك.

الأربعاء 4/17

إلى أين في هذا الصباح الربيعي المبكر؟ إلى مقر وزارة الداخلية الإسرائيلية في القدس الشرقية.
ولماذا؟ لتجديد وثيقة السفر.

ذهبت وانتظرت خمس ساعات حتى تمكّنت من تقديم الأوراق، وعلى الباب الخارجي للمبنى الكائن في شارع نابلس وقفت مع طابور من الرجال والنساء ننتظر الدخول. إنه انتظار مذل ومهين يفرضه علينا المحتلون.

تذكّرت أن اليوم هو يوم السجين الفلسطيني. خمسة آلاف أسير وأسيرة في السجون الإسرائيلية. وأنا واقف أمام مبنى الداخلية، طاب لي أن أدخل في لعبة التخيلات: أمّ غاب عنها ابنها أو ابنتها خلف القضبان منذ عشر سنوات، تجلس كل صباح في شرفة البيت وترنو نحو البعيد، نحو السجن الذي يحتجزون ابنها أو ابنتها فيه، وتنتظر. امرأة لم يعد زوجها إلى البيت منذ اعتقاله قبل خمس عشرة سنة، وهي مرابطة في

البيت صابرة تنتظر عودة زوجها إليها. طفل كان عمره ثلاثة أشهر حينما اعتقلوا أباه، وهو الآن شاب في العشرين، وهو لم يظفر بعطف الأب وحنانه مثل بقية أطفال العالم.

ولكن، لماذا التخيّلات والحقائق الدامغة ماثلة هناك؟ آلاف الأمهات والزوجات ينتظرن الأحبة القابعين خلف قضبان السجون، ومعهن آلاف الأطفال الذين ينتظرون آباءهم. فلماذا لا نقوم بتنظيم حملة عالمية مستمرة لإطلاق سراحهم؟ لماذا؟

غادرت مقرّ الداخلية ووصلت بعد الظهر إلى مقرّ "الطليعة" الكائن في حي الشيخ جراح بالقدس. وجدت الشباب يهيئون لإخلاء المقر، وهو بيت قديم من بيوت القدس التي تتميز بسقوفها العالية وشبابيكها المستطيلة. ولماذا يخلي الشباب المقر؟ لأن "الطليعة" توقّفت عن الصدور بسبب شحّ مواردها المالية.

كنت رئيس تحريرها منذ العام 1994. والآن، تشعرني بالحزن لحظات إخلاء المقرّ ومغادرته إلى غير رجعة. تأملت غرف المبنى التي بدت موحشة وهي تخلو من الطاولات والكراسي والخزائن. تأملت مكتبي الغارق في الصمت. من قبل، كان بشير البرغوثي يشغل هذا المكتب، باعتباره رئيس تحرير "الطليعة" الذي أعطى "الطليعة" تميزها لسنوات. هاتفني ذات يوم، وكان مداومًا في مكتبه في مركز السلام

الواقع في شعفاط. ذهبت إلى مكتبه، وكانت صحافية شابة تجري معه حوارًا. وبعد خروجها من المكتب اقترح علي أن أتولّى رئاسة تحرير "الطلّعة".

وافقت على الاقتراح وأصابني رعشة فرح ممزوجة بشيء من التهيّب، ذلك أن رئاسة تحرير "الطلّعة" بعد بشير البرغوثي تضع على عاتقي مسؤوليات جمّة، وبذلت كل جهد مستطاع، نجحت في أمور وأخفقت في أمور أخرى، وكانت التجربة درسًا كبيرًا لي في مهنة الصحافة بشكل عام. بعد ساعتين غادرت مقرّ "الطلّعة" التي لن تعود إلى الظهور اعتبارًا من الغد، وكانت أسئلة كثيرة تدور في خاطري.

قرأت خمسين صفحة في رواية "الأربعينية" للإسباني خوان غويتيسولو. هذا كاتب له أسلوبه الخاص، وثمة استفادة من التصوف الإسلامي في هذه الرواية، وبالذات من ابن عربي.

في الليل تدرّبت على الرسم. حتى هذه اللحظة لا أتقدّم كثيراً. ثمة متسع من الوقت أمامي، فأنا لم أبدأ إلا منذ شهر. ومع ذلك، لا أتوقّع أن أصبح رسّاماً، إنما هي محاولات.

أمانة تنام في غرفتها ولا ندرى ماذا يحبّ لها المستقبل، والحفيد محمود يملأ البيت ضجيجاً ولا ندرى ما الذي ينتظره بعد خمس أو عشر سنوات.

كان يتعين علي أن أكون اليوم في غزّة لحضور الدورة الحادية والعشرين للمجلس الوطني الفلسطيني، التي ستبدأ مساء الغد، لكنني لم أذهب، لأنني غير مقتنع بعضوية هذا المجلس الذي شاركت فيه منذ العام 1987، وحضرت الدورات الثامنة عشرة والتاسعة عشرة والعشرين التي انعقدت جميعها في الجزائر، ولم أشعر بأن لي ولكثيرين غيري أيّ دور يذكر في هذا المجلس، فلماذا أحتفظ بعضويته؟ قد يبدو هذا الاستنكاف مستغرباً في زمن التشبث بالمواقع والرغبة في الظهور، إنما هذا ما وقع، وأنا الآن مقتنع بما فعلت.

لم أذهب إلى غزّة سوى مرتين. الأولى لحضور اجتماع حزبي موسع عقده فرع الحزب هناك. كان الطقس بارداً بعض الشيء، ولم تتح لي فرصة للتجوال في المدينة. مر الوقت كله ونحن داخل قاعة مكتظة نناقش قضايا سياسية وأخرى تنظيمية. والثانية حينما دعاني محمود درويش لحضور اجتماع يحضره بعض الأثرياء الفلسطينيين لتشكيل هيئة

داعمة للثقافة الفلسطينية. اجتمعنا وتبادلنا الآراء ولم نتوصل إلى قرار نهائي حول الهيئة الداعمة. هذه المرة أيضًا لم تتح لي فرصة للتجوال في المدينة. بقيت معرفتي بغزة منقوصة إلى حدّ كبير.

هذا الصباح اتصلت موظفة في وزارة الداخلية الإسرائيلية تسأل عني في البيت، وتطلب مني إحضار وثائق تثبت أنني مقيم في القدس من أجل الحصول على وثيقة السفر. هذا السؤال مفاجئ ولم أكن أتوقعه، ففي العادة تتركنا الداخلية للانتظار الممل، ولا تستجيب لطلباتنا بالسهولة المتوخاة.

سأذهب إلى هناك ومعني الوثائق المطلوبة.

الاثنين 4/22

انتهيت من قراءة مذكرات خليل السكاكيني "كذا أنا يا دنيا" وهي التي أوحى إلي بالشروع في كتابة هذه اليوميات. أشعر الآن بالحزن وأنا أقرأ السطور الأخيرة في الكتاب على لسان ابنته هالة، وهي تشير إلى وفاته بعد ثلاثة أشهر من وفاة ابنه سري الذي مات في عزّ الشباب، ما أورث والده حزناً مقيماً، فلم يغادره حتى مات.

الآن، وقد انتهيت من قراءة المذكرات التي لمست من خلالها سعة أفق السكاكيني، ورجاحة عقله، وانحيازه إلى تيار التنويريين الفلسطينيين والعرب، فإنني أرى ضرورة كتابة سيناريو تلفزيوني أو سيناريو فيلم وثائقي عنه. ليتني أتمكن من كتابة هذا السيناريو، أو ليت أحداً غيري يتمكن من ذلك.

كم كان هذا المقدسي محباً للقدس التي عاش فيها أغلب سني حياته!
وكم كان محباً لزوجته سلطنة! وكم أثر موتها على حياته!

اللقاء مع الطلاب والطالبات يعيد إلى ذهني تجربتي الطويلة في التدريس. كانت تجربة ممتعة في كثير من الأحيان.

اليوم، شاركت في مهرجان نوار نيسان الذي تقيمه في رام الله مؤسسة تامر للتعليم المجتمعي مع مؤسسات أخرى. التقيت مع عدد من الطلاب والطالبات، حدثتهم عن بعض قصصي التي كتبتها للأطفال. حدثتهم عن ابنتي أمينة التي تشعر بوهن في ساقها، وعن حفيدي محمود الذي يعاني من صعوبات في النطق. أصغوا باهتمام وطرحوا أسئلة عديدة، وأنا أجبت عن أسئلتهم، وشعرت بأن الكتابة للأطفال تتطلب معرفة جيدة بعالم الأطفال، واقترباً واعياً من هذا العالم المتسم بالعفوية والبراءة.

لقاء في رام الله، يجدد صلتني بعالم الطلبة، ويكرّس حبي لرام الله التي كانت أول ندوة ثقافية لي قبل ثلاثين سنة في فيها. ذهبت آنذاك إلى دار

المعلمات في الطيرة، وقرأت قصة عنوانها "اليوم الأخير" أمام ما يزيد عن مئتي طالبة من طالبات الدار. كانت ندوة لا تنسى لأنها الأولى.

هذا المساء، أنهى المجلس الوطني الفلسطيني المنعقد في غزة أعماله، وجرى انتخاب لجنة تنفيذية جديدة لمنظمة التحرير الفلسطينية. هاتفتم نعيم الأشهب الذي اعتذر مثلما اعتذرت أنا عن عدم حضور اجتماعات المجلس. تحدثنا عن المجلس وعن اللجنة التنفيذية الجديدة.

بعد قليل سأشرع في الرسم.

في المساء، شاهدت على شاشة التلفاز فيلمًا اسمه "قط الصحراء" ظهر فيه الممثل أحمد رمزي بعد أن تساقط شعر رأسه. وأنا طالب في الصفوف الثانوية، قبل حوالي أربعين سنة، كنت متحمسًا لتمثيل أحمد رمزي. أرسلت له رسالة بالبريد، وبعد أسابيع استلمت منه رسالة جوابية. كدت أن أطير من الفرح. لم أعد متحمسًا لتمثيل أحمد رمزي هذه الأيام! وكنت أرسلت رسائل لفاتن حمامة ولمثلات أخريات، ولم أتلق منهن أي جواب.

قرأت ديوان "الناي والريح" للشاعر خليل حاوي، الذي قرأته أوّل مرة أوائل الستينيات، فلم أستوعبه جيدًا، كما لم أستوعب ديوانه الآخر "نهر الرماد" آنذاك. أذكر أنني كنت أجلس قريبًا من نافذة غرفتي في تلك القرية البعيدة التي عملت فيها مدرّسًا، أنظر من النافذة إلى حقول القرية الممتدة أمامي حينًا وأقرأ قصائد حاوي حينًا آخر. ولم أكن قادرًا على استيعاب شعره آنذاك، وكان ذلك مصدر قلق لي. الآن، أدعي أنني أفهم

ما يقصده الشاعر، وأرى قلقه الوجودي باديًا في شعره، وألاحظ أن شعره ما زال محتفظًا بكثير من ألقه رغم مرور السنين.

بقيت طوال هذا اليوم في البيت. البقاء في البيت بعد أيام من الحركة المستمرة والنشاط الموصول له مزاياه، وهو يدخل السكينة والهدوء إلى النفس (سكينة مؤقتة وهدوء مؤقت، لأن دورية الجيش قد تأتي في أية لحظة، ولأن شجارًا لأتفه الأسباب قد يندلع فجأة).

قرأت سيناريو فيلم "المومياء" لشادي عبد السلام، وقرأت مقابلتين أجريتا معه يتحدث فيهما عن فنه السينمائي. سأحاول مشاهدة هذا الفيلم الذي امتدحه النقاد.

أنهيت كتابة القصة الطويلة للفتيات والفتيان "قالت مريم.. قال الفتى". شعرت بارتياح، فهذا أعود إلى الكتابة الإبداعية بعد انقطاع. وعدت بعد انقطاع دام عدة أشهر لتلقي دروس في اللغة العبرية. كنت توقفت عن الذهاب إلى معلمي الإسرائيلية تمار بسبب الحصار والإغلاق المفروضين على الشعب الفلسطيني.

لتمار ابن في الجيش. وهي لا تفصح عن مواقفها السياسية، ربما لأنها لا تريد أن تستفزني فأتوقّف عن تلقي الدروس على يديها. وهي لا تتحدّث عن ابنها إلا قليلاً حينما ننظر أنا وعمار بين الحين والآخر إلى صورته المعلّقة على الحائط.

في ساعات المساء، صعد خالد إلى سطح البيت، وجّهز كل ما يلزم لوجبة شهية من اللحم المشوي على النار. دعاني لتناول طعام العشاء. جلسنا على السطح، وكانت أمينة معنا تشاركنا العشاء بشكل طبيعي. كانت قد صعدت الدرج نحو السطح ببطء ملحوظ، والحفيد محمود شاركنا العشاء. محمود في الرابعة من العمر وهو حتى الآن لا ينطق إلا ببعض مفردات قليلة.

الطقس حارٌّ رغم أننا ما زلنا في عزّ الربيع، وبيوت جبل المكبر مشرعة النوافذ والأبواب، تندلع منها الأضواء، وكنت أفكّر بشيء من الأسى: ثمة هموم أكيدة وحكايات لا أعرفها خلف النوافذ والأبواب.

عدت بعد غياب. في مثل هذا اليوم قبل ثلاث سنوات، عدت إلى الوطن بعد غياب دام ثماني عشرة سنة. عادت معي زوجتي وابنتي أمينة. لم تكن أعراض المرض قد ظهرت على أمينة بعد. أبعدتني سلطات الاحتلال الإسرائيلي من الوطن بتاريخ 28 / 2 / 1975 بعد قضاء عشرة أشهر في السجن. أيام كثيرة مرّت في المنفى. بعضها سارّ وبعضها الآخر مثير للأحزان.

وأنا هنا منذ ثلاث سنوات. لم أتأقلم بسرعة مع أوضاع الوطن الذي ما زال يزرع تحت الاحتلال. احتجت إلى وقت غير قليل لذلك. عملت محرّرًا في "الطلیعة" ثم رئيس تحرير للصحيفة. كنت أذهب كل يوم إلى مقر "الطلیعة" الواقع في حي الشيخ جراح. هذا الحي يتسم بهدوء نسبي، غير أنه أصبح محاصرًا بالبناء الاستيطاني، وبتكاثر المؤسسات الإسرائيلية الرسمية فيه. يقع المقر في وسط المسافة بين فندقين معروفين في القدس هما الإمبادور وماونت سكوبس.

وأنا هنا منذ ثلاث سنوات، وكان لا بدّ من الذهاب إلى الناصرة.
ذهبنا، نعيم الأشهب وأنا، إلى الناصرة لزيارة الروائي إميل حبيبي.
وصلنا مستشفى العائلة المقدّسة حيث يرقد إميل على فراش المرض.
كانت حالته الصحية غير مطمئنة. رحّب بنا وتبادلنا حديثاً مختصراً.
توقّعنا أن هذا هو آخر لقاء لنا معه. قلنا ذلك في ما بيننا وعلى نحو يشبه
تبادل الأسرار، وشعرنا بالخسارة التي تنتظرنا. بقينا في المستشفى ساعة،
وكانت زوجة إميل وعدد من أفراد أسرته هناك. غادرنا المستشفى وعدنا
في المساء إلى القدس.

الأربعاء 5/1

يوم أمس عند إميل حبيبي الذي لم يكن أديبًا بارزًا وحسب، وإنما رجل سياسة له دوره الريادي المرموق. واليوم هو عيد العمال العالمي. لم أشارك في أية فعالية لها علاقة بهذا العيد (ربما كنت مقصرًا في ذلك، فهذا العيد له مغزى لا ينبغي أن يغيب عن البال). ذهبت أنا وزوجتي وأميئة لزيارة ابنتي باسمه وزوجها حسام وطفلتها شروق في رام الله. أخذنا الحفيد محمود معنا. كان مسرورًا لهذه الرحلة وهو يرى البنايات والشوارع والسيارات والأشجار من خلف زجاج السيارة. حاولت تدريبه على التلفظ باسم رام الله، ولم يكن ذلك سهلاً. اشترت له ولشروق نظارات وآلتين موسيقيتين.

أمضينا يومًا ممتعًا (قليلة هي الأيام التي أتبحر لنفسي فيها شيئًا من الراحة والمتعة). في المساء عدنا إلى البيت، ولم أقرأ شيئًا. فليكن، فهو يوم عطلة واستجمام.

الخميس 5/2

مات إميل حبيبي في وقت مبكر من صباح هذا اليوم. تحدّث الإذاعات عن وفاته. إذاعة فلسطين قدّمت برنامجاً حول أدبه الروائي. عمّمت وزارة الثقافة على أجهزة الإعلام بياناً حول إميل حبيبي، تحدّث فيه عن دوره البارز في الثقافة الوطنية الفلسطينية المعاصرة.

التقيتُ إميل أوّل مرّة لقاء عابراً في المكتبة الشعبية في الناصرة في العام 1968، ثم التقيته في القدس الغربية، في مكتب المحامية الإسرائيلية التقديمية فيليتسيا لانغر في العام 1970. جاء إميل إلى المكتب بشعر رأسه الأسود الذي يخالطه بياض، وبعينه الحادّتين مثل عيني صقر. كان أسلوبه في الكلام يتسم بالسخرية وخفّة الظل. كان يومها عضواً في الكنيست الإسرائيلي وكاتب مقالة أسبوعية في جريدة "الاتحاد" الصادرة في حيفا.

في مقرّ الوزارة ظهر هذا اليوم، تبادلت الحديث مع ياسر عبد ربه وزير الثقافة حول إميل حبيبي، تأسّينا على رحيله، ثم تحدّثنا حول العدد

الثامن من "دفاتر ثقافية" (من بداية العام 1995 أصبحت موظفًا في الوزارة). علمت منه أن محمود درويش وصل إلى الوطن قادمًا من عمان، وهو الآن في الناصرة.

بدأت هذا المساء بقراءة خرافية "سرايا بنت الغول" للمرة الثانية. كان إميل أهداني نسخة منها أثناء أحد لقاءاتنا في القدس العام 1994. لإميل معرفة مذهشة بجماليات اللغة العربية.

الجمعة 5/3

ذهبنا إلى الناصرة لحضور الجنازة، وكنا مجموعة من الرفاق والأصدقاء. كان الطقس معتدلاً والأسى يلوب في الصدور. وصلنا متأخرين بعض الشيء. كان الجثمان مسجى في كنيسة البشارة. ألقى محمود درويش كلمة في وداع صاحب "المتشائل"، كلمة جميلة مؤثرة. شارك في الجنازة حوالي ألفين من الكتاب والمثقفين ورجال السياسة. اتجهت الجنازة إلى حيفا، لدفن الجثمان هناك تلبية لوصية إميل الذي طلب من أهله أن يكتبوا على شاهدته قبره "باقٍ في حيفا".

عدنا في المساء إلى القدس، ثم تفرقنا. اتجهت إلى رام الله لحضور حفل موسيقي تحييه فرقة أوركسترا لية أمريكية بدعوة من وزارة الثقافة وجامعة بير زيت. وصلت إلى الحفل متأخراً، واستمعت إلى مقطوعات موسيقية عذبة لموسيقين كبار: شتراوس وآخرين.

من القدس إلى الناصرة، ومن الناصرة إلى القدس ورام الله، ومن ثم عودة إلى القدس، وما بين المدينة والمدينة حزن وألم وموسيقى ومعاناة.

السبت 5/4

بعد قليل، سأقوم بمراجعة القصة التي انتهيت من كتابتها للفتيات والفتيان. أمر جيد أنني كتبت قصة طويلة، وقد أكتب شهادة عن إميل حبيبي وأدبه لنشرها في مجلة "الوسط" الصادرة في لندن. ما دمت أكتب، فهذا يعني أن رحلة حياتي لم تذهب سدى.

اتصلت مساء بالوزير ياسر عبد ربه. ردت عليّ الزميلة ليانة بدر، زوجته، وأخبرتني أنه لم يعد من غزّة بعد. كنت أريد التشاور معه حول بعض القضايا المتعلقة بالعدد الثاني من "دفاتر ثقافية".
هذه "الدفاتر" تشغل بالي باستمرار.

هذا الصباح، زارنا محمود درويش في مقرّ وزارة الثقافة. كان متألقاً كعادته. تحدّثنا أحاديث عابرة، ثم اتفقنا على تنظيم لقاء له مع نخبة من الكتاب والمثقفين في مقر الوزارة يوم الجمعة القادم.

كتبته إلى مجلة "الوسط" شهادة عن إميل حبيبي. لم تزد كلماتها عن خمسمائة كلمة بناء على طلب المجلة.

في المساء، ذهبت لزيارة الوالد والوالدة. كانا جالسين في هدوء وهما يشربان الشاي، ويتكلمان من دون ثرثرة زائدة. ربما كانت لدى الوالدة رغبة في الكلام أكثر من الوالد. الوالد قليل الكلام، هادئ الطباع. أبدي هو والوالدة اهتماماً بصحة أمينة. حاولت طمأنتهما قدر المستطاع.

منذ أيام، لم أقرأ شيئاً بسبب كثرة الانشغالات. أشعر بالأسى بسبب ذلك. أجلس الآن قريباً من نافذة المطبخ في بيتنا. الطقس حار والقمر بوجهه النحاسي يطلّ علي من النافذة، وأنا غارق في التأمّلات. تأملات شتى بعضها له علاقة بأوضاعنا تحت الاحتلال وبعضها بسيط وخفيف،

لكنه من النوع الذي لا يمكن أن نستغني عنه ما دمنا نواصل هذه الحياة.
والساعة هي الثانية عشرة والنصف بعد منتصف الليل.

الأربعاء 5/8

محمود درويش في وزارة الثقافة بعد يومين.

أجرينا اتصالات مع عدد من الكتاب والمثقفين تمهيداً للقاء الموعد.
غداً قد يصدر العدد الثاني من "دفاتر ثقافية".

ذهبت إلى السوق في مدينة رام الله، واشترت بدلة جديدة وقميصاً وربطة عنق. منذ أسابيع وأنا أقول: سأذهب وأشتري بدلة وقميصاً وربطة عنق. كم هي قريبة إلى قلبي مدينة رام الله! كم أحب شراء ما يلزمني من ملابس وكتب من محالها التجارية ومكتباتها!

في الليل، تصفّحت الجزء الأول من "الفتوحات المكية" لابن عربي، ولا أدري متى سيتاح لي الوقت لقراءة هذا الكتاب المكوّن من أربعة أجزاء؟

غداً أو بعد غد، يعلن الرئيس ياسر عرفات أسماء المشاركين في الوزارة الجديدة. لهذا الأمر رونق ما، كأننا أصبحنا دولة ولها مجلس وزراء!

الجمعة 5/10

صباح رائق والشمس تسطع في السماء.

وأنا ذاهب إلى مقرّ وزارة الثقافة لحضور اللقاء الثقافي مع محمود درويش. ذهبت معي مريم، وهي شابة مقدسية مغرمة بالأدب. كان اللقاء غنيًا بالحوار. شارك فيه حوالي سبعين كاتبًا وفنانًا، بحضور ياسر عبد ربه وزير الثقافة، ويحيى يخلف وكيل الوزارة.

بعد اللقاء، ذهبنا أنا ومريم إلى مقهى الأصيل. أدخل هذا المقهى لأول مرّة، وهو يتمدّد على سطح إحدى البنايات الواقعة على الشارع الرئيس الذاهب من المنارة إلى رام الله القديمة. وجدنا هناك فادي وسوسن. تقاسمنا معها الطاولة نفسها، وشربنا القهوة. تبادلنا أحاديث شتى حول الأدب، وتحدّثنا عن اللقاء مع درويش وعن ثقافة درويش الواسعة وقدرته على عرض أفكاره ببراعة واقتدار، ثم غادرنا المقهى.

عدت أنا ومريم إلى القدس. كانت مسرورة لأنها رأت محمود درويش وكتبًا آخرين.

بقيت في مكنتي بالوزارة حتى المساء (يحدث ذلك حينما يكون لدي موعد بعد الظهر أو في المساء). قرأت بعض مواد العدد الثاني من "دفاتر ثقافية" للتأكد من عدم وجود أخطاء مطبعية. قرأت قصصاً لسميرة عزام في كتابها "الظل الكبير".

في تمام الثامنة، كانت رام الله تضح بحياة تتحدّى الصعوبات وما يمكن أن يحدث من مفاجآت. وكنت عند مدخل مطعم البردوني، تلبية لدعوة من "هيئة حقوق المواطن الفلسطيني" لحضور حفل العشاء الذي تقيمه على شرف محمود درويش. وجدت عند الباب الإذاعي يوسف القزّاز. دخلنا معاً، وكان هناك العديد من الزملاء والأصدقاء، أو يمكن القول: هنا النخبة الفلسطينية. هنا ما يوحى بالاستقرار وبعدم الاستقرار في آن واحد.

جاء محمود درويش وانهمك في تبادل التحيات مع الحضور. لمحمود درويش كاريزما لا تقلّ عن الكاريزما التي لنجوم السينما المشهورين.

أجرى التلفاز الفلسطيني معي لقاء قصيرًا حول أهمية عودة درويش إلى أرض الوطن، ومدى تأثير هذه العودة على ثقافتنا الوطنية. قلت كلامًا يليق بالمناسبة، وأبدت سروري لهذه العودة التي يعتبرها درويش عودة ناقصة.

أثناء حفل العشاء، اتفقت مع درويش على نشر الحوار الذي جرى معه في مقرّ الوزارة، مضافاً إليه الحوار الذي جرى معه في الإذاعة الفلسطينية، في العدد الثالث من "دفاتر ثقافية".

في تمام الساعة الثالثة، جاءتني سيارة من حيفا وأخذتني إلى هناك للمشاركة مندوباً عن وزارة الثقافة في افتتاح شهر الثقافة العربية ومعرض الكتاب الذي يقام في بيت الكرمة. ذهب معي إلى حيفا الفنان زهير النوباني.

التقيت في حفل الافتتاح كلاً من: سميح القاسم، محمد على طه، أنطوان شلحت، نبيه القاسم، قاسم شعبان وآخرين. في الافتتاح، وأثناء الفسحات الزمنية التي تسبق إلقاء الكلمات، استمعنا إلى معزوفات موسيقية شجية. ألقى كلمة، انتقدت فيها الذين يفضلون دوي الطائرات الحربية على صوت الموسيقى، وكنت أشير بذلك إلى القصف الجوي الإسرائيلي الذي طال مدناً وقرى في جنوب لبنان، ثم طالبت برفع الحصار عن الشعب الفلسطيني في الضفة الغربية وقطاع غزة.

بعد الاحتفال، ذهبنا أنا وأنطوان وقاسم إلى مطعم شكسبير (زهير استضافه أصدقائه وذهب معهم إلى قريتهم). تناولنا طعام العشاء، ثم

اتجهنا إلى فندق دان بانوراما على جبل الكرمل. قضيت ليلة في غرفة في
الطابق السابع عشر من الفندق، حيث كانت الأضواء اللامعة تنتشر
أمامي على قمة الجبل وسفحه، مضيئة على ليل حيفا شاعرية وجمالاً.
زرت حيفا بعد هزيمة حزيران 1967 مرة واحدة، وزرتها بعد
عودتي من المنفى ولم أنم فيها من قبل. هذه هي ليلتي الأولى في حيفا. كان
لذلك معنى تختلط فيه الوقائع وتمتزج بتواريخ عدة وبأشكال من المعاناة.

الاثنين 5/13

نهضت من النوم في تمام الساعة الثامنة. أنا في فندق دان بانوراما. أنا في حيفا، عروس البحر. كان هذا صباحًا مدهشًا ومفاجئًا. أزحت الستارة، ونظرت نحو المدى الممتد، ورأيت المدينة والبحر، وامتلاأت نفسي بالمشاعر والرؤى، ولم أسترسل في التصورات. كنت استرسلت فيها في الليلة الماضية، فلماذا التكرار؟

اغتسلت ولبست ملابسني ثم اتجهت إلى المطعم. تناولت طعام الفطور. ذهبت صحبة أحد العاملين في بيت الكرمة إلى معرض الكتاب. انتقيت بعض الكتب الأدبية والتراثية (من بينها ديوان المتنبي) قدّمتها الإدارة هدية لي.

في تمام الساعة الثانية عشرة والنصف، ركبت السيارة عائداً إلى رام الله ثم إلى القدس.

في البيت، اقترب مني الحفيد محمود. احتضنته وكنت مسروراً لرؤيته. أمينة أيضاً كانت هناك. سألتها عن صحتها وقالت إنها بخير.

اليوم ذكرى النكبة الفلسطينية. قبل يومين، كنت في حيفا وتذكرت ما تعرّضت له المدينة في زمن سابق. وكان ينبغي علي أن أفعل شيئاً في هذه الذكرى، ولم أفعل، لكثرة ما لدينا من مناسبات، ومن نكبات ونكسات ومآس وأتراح، يصيينا التبدّل في بعض الأحيان، فنجعل المناسبات تمرّ بنا مروراً خاطفاً، ولا نقدّم لها ما تستحقه من وقفات لأخذ الدروس والعبر، ولوضع البرامج والخطط التي لا بد منها كي لا نفاجأ بمناسبات أخرى فادحة.

وجدت نفسي في ذكرى النكبة في عيادة التأمين الصحي في الشيخ جراح بالقدس، بسبب ألم في مرفقي الأيمن ورقبتي. وصف لي الطبيب دواء. بعد ذلك، اتجهت إلى رام الله وبقيت في الوزارة حتى السابعة مساءً. أنجزت بعض الأعمال الروتينية، وقرأت بعض مواد العدد الثالث من "دفاتر ثقافية".

بعد السابعة، ذهبت إلى مقر وزارة الإعلام، وشاهدت الفيلم الوثائقي "الحصار" الذي أخرجه محمد السوالمه، والفيلم لا بأس به، مدّته أربعون دقيقة، غير أن فيه هفوات فنية أضعفت إيقاعه في مواضع غير قليلة.

عدت إلى البيت في العاشرة ليلاً. كنت نهباً لإحساس مؤلم بالتقصير.

هكذا هي حياتي في الوطن: دوام في الوظيفة، واجتماعات سياسية وأنشطة لها علاقة بذلك، وقراءات وندوات ومناسبات ثقافية واجتماعية وبعض كتابات. إنها دوامة فيها الممتع وفيها غير الممتع.

في الساعة الثالثة بعد الظهر، ذهبت إلى مسرح السراج لحضور الفيلم التونسي "سلطان المدينة" وهو يعرض ضمن أسبوع الفيلم العربي/الفرنسي. لم أجد سوى أربعة متفرجين في الصالة، وهذا أمر مثير للأسى، فقد ماتت السينما في بلادنا منذ الانتفاضة الأولى تحت ضغط المحافظة التي نتجت عن دخول الحركة الإسلامية إلى ميادين الانتفاضة، واتخاذها موقفاً معادياً للسينما وللفن الحديث بشكل عام. تصوير الفيلم وإيقاعه وأداء الممثلين كان جيداً، لكنني لم أفهم شيئاً من اللهجة التونسية.

في المساء، عدت إلى البيت. كان حسام زوج ابنتي قد غادر المستشفى، ولم يتمكن من الخروج عبر الحواجز الإسرائيلية المحيطة بالقدس إلى بيته في رام الله، فجاء إلى بيتنا لقضاء فترة استراحة إثر حادث سير تعرض له.

هذا اليوم، احتفل الإسرائيليون بذكرى "تحرير" القدس. امتلأت
المدينة وما حولها بالجنود ورجال الشرطة، ما اضطرني إلى تغيير الطريق
وأنا عائد إلى البيت، حيث كانت حواجز كثيرة في الطرق. حواجز هنا
وحواجز هناك. حواجز في كل مكان حول القدس!

"أكنس الشمس عن السطوح" مجموعة قصصية لحنان الشيخ. فيها قدرة على القص، وعلى رصد سلوكيات نماذج إنسانية عديدة. استمتعت وأنا أقرأ هذه المجموعة.

وثمة ندوة عن أدب الأطفال في مقر اتحاد الكتاب في بلدة الرام الواقعة بين القدس ورام الله. قبل الندوة وبعد الندوة كنت أقول لنفسي: سأكتب شيئاً عن أمينة، وسأكتب شيئاً عن الحفيد محمود. شاركت في الندوة وشارك معي زملاء آخرون.

بلدة الرام التي يقع فيها مبنى الاتحاد مثيرة للفضول. حينما عدت من المنفى وجدت القرية الصغيرة الوداعة قد ترامت أطرافها وازدادت فيها حركة العمران، لأن كثيرين من أبناء القدس القديمة الذين أرهقتهم أزمة السكن داخل سور المدينة، اضطروا إلى شراء الأرض وبناء البيوت في الرام. ومع ازدياد العمران وتزايد عدد السكان أصبحت الحاجة ملحة لحوانيت تباع مختلف السلع من ملابس وخضروات ولحوم، مثلما

أصبحت تستدعي وجود مطاعم وصيدليات وعيادات طبية وغير ذلك مما يوفر للناس احتياجاتهم. بين الحين والآخر، أتردد على سوق الرام لشراء ما يلزم بيتي من احتياجات.

الاثنين 5/20

من البيرة إلى القدس إلى البيت وأمينه معي في السيارة. أمينة في الثانية والعشرين من عمرها، وهي تعمل متدربة في شركة المشرق للتأمين الكائنة في مدينة البيرة (درست السكرتاريا في جمعية الشابات المسيحية بالقدس). وقبل سنتين، ظهر أنها مصابة بمرض ضمور العضلات، ما يجعلها غير قادرة على المشي السريع. هذه مفاجأة لم تكن في البال، ما يعني أنها ستعيش حياة كلها معاناة.

وصلنا البيت، وتسامرت مع الوالد والوالدة بعض الوقت. الوالدة قدّمت للوالد ولي عصير البرتقال. تحدّثنا في أمور عادية لا تتجاوز محيط الحي الذي نقيم فيه. الوالدة مغرمة بتقصي أخبار الحي، فهي لا تغادر البيت، ومع ذلك، تتجمّع لديها حصيلة من الأخبار. والوالدة هي المصدر الذي يزودني بالمعلومات حينما يموت أحد أبناء المكبر، تحرص على الاستماع إلى صوت المؤذن وهو يعلن خبر الوفاة، وتحرص على موافاتي بالخبر لكي أقوم بواجب العزاء.

وهي التي تضعني في صورة العلاقات الاجتماعية اليومية في الحي:
من نام في المستشفى، ومن عاد من السفر. من أنجبت ولدًا، ومن طلقها
زوجها. وهي التي تخبرني عن الحوامل من نساء العائلة، وعن جنس
الأجنة الذين في بطون الحوامل. كل هذه الأخبار تلتقطها الوالدة من
أفواه النساء، وتصبح مادة إخبارية لا غنى عنها لها.
وفي المساء، تسامرت مع الحفيد محمود دقائق عدّة. فرحت لما يتمتع به
من ظرف، لكنني أشفقت عليه لأنه لا يتكلم حتى الآن.
حينما عدت من المنفى في العام 1993 كان عمره عامًا واحدًا. لاحظنا
في ما بعد أنه تأخر في الحبو. أخذته أنا وأُمّه إلى عيادة للعلاج الطبيعي في
القدس. هناك تولّت العناية به ممرضة إسرائيلية ظلّت تدربه على الحركة
مدّة زادت على الثلاثة أشهر. أصبح يحبو بعد تدريب مستمر، وهو الآن
قادر على المشي دون صعوبات.

قبل الظهيرة، في مؤسسة فريدرش إيبرت، وكانت المنظمات غير الحكومية تتكاثر مثل الفطر في بلادنا. قابلت مديرها العام الدكتور أندريه جاربير. إنه شخص مهذب، وهو متزوج من امرأة فلسطينية شابة باذخة الجمال. تحدّثت معه حول فرص دعم مسرحية كوميدية أقوم بكتابتها تحت عنوان "سلام بالعافية". أعجبت به الفكرة، ووعده بطرح هذا الموضوع على بعض المؤسسات الثقافية الألمانية حينما يسافر إلى ألمانيا بعد شهر.

ولم أنقطع عن مشاهدة الأفلام التي تبثها بعض محطات التلفزة (ما زالت دور السينما في البلاد غير قادرة على ممارسة دورها في عرض الأفلام)، شاهدت فيلمًا وثائقيًا بثه التلفاز، اسمه "لارا" وهو عن حياة بورييس باسترناك في ظل النظام السوفييتي، وعن علاقة الحب التي ربطته بامرأة عاش معها رغم كونه متزوجًا.

الخميس 5/23

يوم عادي غير ممتع. قضيت وقتًا مرهقًا في المكتب. أكتب وأنا أضع
طوقًا على رقبتني. أشعر أحيانًا بدوخة في الرأس بسبب الانزلاق
الغضروفي، والعلاجات حتى الآن لم تساعد على تحسين وضعي الصحي.
تذكرت أن لدي ابنة مريضة وحفيدًا لا يجيد النطق حتى الآن، ووالدًا
طاعنًا في السن. وقلت لنفسي: هذه هي الحياة، وما علينا سوى احتماها
حتى النهاية.

قرأت ساعة في رواية "مسك الغزال" لحنان الشيخ التي تتحدث فيها
عن قمع المرأة العربية في مجتمع الصحراء.

نهضت من النوم في حوالي الساعة الحادية عشرة صباحًا. في يوم العطلة يطيب لي النوم حتى ساعة متأخرة من ساعات الصباح. تفقدت ما يحيط بالبيت من ورود وأشجار. أسفت لشجرة الليمون التي يتساقط الحبّ عنها قبل أن يكبر. أزلت بمقص التقليم بعض الأغصان الزائدة من تحت شجرة الزيتون.

تبادلت الحديث مع الحفيد محمود، حاولت تعليمه بعض الأحرف، لكنه لا يتقدّم إلا ببطء شديد. أمينة ما زالت قادرة على مغالبة المرض، وهي تحيا حياة طبيعية ولديها طموحات غير قليلة، وأنا معجب بما لديها من إرادة قوية وإقبال على الحياة.

قرأت عددًا من الصفحات في رواية "مسك الغزال" لحنان الشيخ. تعجبني جرأة هذه الكاتبة واهتمامها برصد حالة القمع التي تعاني منها المرأة العربية. جاء ابني أمين وولده بشار إلى البيت. لاعبت بشار بعض الوقت. وضعت جهاز الهاتف أمامه وراح يحرك قرصه وهو مسرور.

انتبه محمود إلى ذلك وأخذته الغيرة، وراح يشارك بشار العبث بقرص الهاتف، وكنت مسرورًا وأنا أحتضن الحفيدين باهتمام.

وأنا في مكنتي بالوزارة، شعرت بدوخة في الرأس. هذا العارض الصحي اعتراني مرّات عدّة خلال الأسابيع الماضية. لم تنفع الأدوية. أكتب الآن والطوق الطبي على رقبتني. أشعر بإرهاق، وأكاد أن أنسى أسماء الناس الذين أعرفهم.

ذهبت في المساء إلى مسرح السراج. هناك، كان الممثل زهير النوباني وبقية طاقم مسرحية "ديموقراطي بالعافية" والمخرج وليد عبد السلام (مسرحية كتبها عن أول انتخابات للمجلس التشريعي الفلسطيني). تحدّثنا عن إجراء اختصارات على المسرحية تمهيداً لعرضها من جديد (عرضت المسرحية في وقت سابق في رام الله، القدس، بيت لحم، أريحا ونابلس). كانت في المسرح فتاة اسمها "ضحوك" جاءت ضمن المجموعة التي اتفق معها زهير لإجراء عملية تسويق للعروض القادمة. بدت الفتاة متحمسة لأداء المهمة الموكولة إليها، وكنت معجباً باسمها الظريف.

غادرت المسرح إلى البيت، وأنا أشعر بالتعب، وبشيء من الأسى. في الطريق توقف المذياع الذي في سيارتي عن البث. يبدو أنه احترق، واعتقدت أن وصلة الكهرباء الخاصة بالهاتف النقال هي التي أحرقتة، إن كان فعلاً قد احترق. قلت: فليحترق. أشياء كثيرة هنا احترقت.

ولا بدّ من الذهاب اليومي إلى الوظيفة، والانتقال كل يوم من القدس إلى رام الله، ومن رام الله إلى القدس.

هذا اليوم، انتهيت من مراجعة الحوار الذي دار بين محمود درويش ومجموعة من المثقفين في الوزارة، تمهيداً لنشره في "دفاتر ثقافية". إنّه حوار ممتع، ولدى درويش قدرة عالية على ارتجال إجابات عميقة على أية أسئلة يتمّ طرحها عليه.

هذا يوم عادي. عادي إلى أبعد الحدود. فليكن، وهل ينبغي على كل الأيام أن تكون أياماً حافلة بمشاغل واهتمامات؟

بعد انتهاء الدوام، بقيت في مكتبي. تناولت غدائي (خبز، جبنة، بندورة، خيار، وتفاحة) ثم ارتحت قليلاً. بعد ذلك، أنهيت ما تبقى لدي من قصص سميرة عزام في مجموعتها "الظل الكبير". بعجبي سردها المتقن الهادئ.

في السادسة مساءً، جاء نعيم الأشهب. ذهبنا معاً إلى مركز خليل السكاكيني الثقافي لحضور حفل افتتاح المركز. هناك التقينا عدداً غير قليل من المثقفين والكتاب والفنانين ورجال السياسة. هنا النخبة الفلسطينية مرّة أخرى. النخبة التي يوحى تجمعها بأننا نحيا استقراراً ما، والحقيقة ليست كذلك بطبيعة الحال. ومع ذلك، فإن من حقنا أن نلتقي وأن نعقد الاجتماعات التي ترهص بمجتمع يمضي نحو مزيد من التشابك والانهماك في تفاصيل الحياة.

ألقيت كلمات بهذه المناسبة، ثم عزفت فرقة موسيقية من الأطفال، تابعة للمعهد الموسيقي معزوفات موسيقية (ليت حفيدي محمود كان

قادرًا على العزف مثل هؤلاء الأطفال). شعرت بالفرح وأنا ألاحظ هذه الجهود التي بدأناها في وزارة الثقافة، وها هي تتقدّم نحو الحلم الذي نصبو إليه.

عدت إلى البيت. لعبت بعض التمارين الرياضية للتخفيف من آلام الرقبة.

انشغلت في تدقيق قصة الفتيات والفتيان "قالت مريم.. قال الفتى"
التي كتبها قبل فترة، وذلك تمهيداً لطباعتها في كتاب. أبدو مرتاحاً لأن
كتاباً جديداً لي سيصدر بعد طول انقطاع عن إصدار الكتب.

وانشغلت في متابعة قضية شجار وقع في مسرح السراج. شجار
مؤسف بين فنانين، ونحن نحاول للممة الموضوع من خلال لجنة مكونة
من خمسة أشخاص.

قرأت الحوار الذي أجرته ليانة بدر في عمان مع محمود درويش، لنشره
في "دفاتر ثقافية". الحوار ممتاز. عدا ذلك، لم أقرأ سوى الصحف اليومية.

يبدو أنّ بنيامين نتنياهو سيفوز في الانتخابات. إنه يميني متطرّف، وهذا يعني أننا سندخل في حلقة جديدة من الصراع. هذا يعني مزيداً من المعاناة بالنسبة لنا نحن الفلسطينيين.

في المساء، ذهبت أنا وأخي محمد (طبيب أمراض نسائية وتوليد) إلى بيت صهرنا إبراهيم، وهو زوج أختنا آمنة التي تكبرني بثلاث سنوات. إبراهيم يعيش حياته ببساطة وهدوء، مع أنه دائم الاهتمام بنشرات الأخبار. يشرب القهوة طوال اليوم ويدخن السجائر ويستمتع إلى نشرات الأخبار. وهو زوج أختي وواحد من أعزّ أصدقائي.

تناولنا معاً طعام العشاء، وتسامرنا وقتاً غير قليل. وكان حديث السياسة هو الذي يطغى على كل شيء. عدت إلى البيت مرهقاً. كانت أمينة جالسة في سريرها وهي تقرأ في كتاب.

قرأت ثلاث ساعات في رواية "منتهى" للكاتبة المصرية هالة البدري. هالة أهدتني روايتها حينما التقينا في مكتبة دار شرقيات في القاهرة. تأكد فوز نتينيا هو في الانتخابات. اليمين الإسرائيلي في غاية الفرح، ونحن نترب في قلق ما تأتي به الأيام القادمة.

في المساء احتفلنا بعيد ميلاد محمود. عمره الآن أربع سنوات. أهديته آلة موسيقية. عزف عليها بشكل عشوائي وكان في غاية السرور. بعد ذلك جاءني وأنا أقرأ في كتاب، تسامرت معه قليلاً. وحينما طلبت منه أن يذهب للنوم، دخل في عراك معي. استخدم ضدي كل ما وقع تحت يديه من أدوات، ولم تنته المعركة إلا بعد خروج عمته أمينة من غرفتها. أمينة لا تحب الضجيج، وهي مغرمة بالهدوء التام. أخذته إلى بيت والديه وأغلقت الباب كي لا يعود. في المساء نفسه، جاء أمين وزوجته ومعهما الحفيد بشار. لاعتبه بعض الوقت، وأجلسته بالقرب مني، ثم غادرني لكي يجلس في حضن جدته. هذا يوم لا يخلو من مفاجآت.

السبت 6/1

لقاءات لإحياء مهرجان ليالي رام الله من جديد.
التقيت في مكتبي وفدًا من محافظة رام الله للبحث في إقامة المهرجان،
وذلك إحياء لتقليد سابق درجت عليه المدينة، وكان يهبها تميزًا لافتًا
للانتباه، ويجتذب إليها المصطفين العرب من الكويت وبلدان الخليج
الأخرى. بحثنا بعض القضايا المتعلقة بالمهرجان، واتفقنا على مواصلة
اللقاءات لإنجاح الفكرة التي تستحق الاهتمام.

وكان للموت حصّة في هذا النهار. ذهبنا، محمد البطراوي وأنا، إلى
بيت الفنان عصام بدر الكائن في حي سطح مرحبا بمدينة البيرة (كم هو
هادئ هذا السطح! هنا أيضًا تسكن الشاعرة أنيسة درويش، وقد زرتها
من قبل في بيتها)، للتعزية بوفاة أبيه. هناك التقيت الدكتور سمير كاتبة
الذي تعرّفت إليه أول مرة في بروكسل العام 1981 حينما كنا معًا في ندوة
للتضامن مع الشعب الفلسطيني. والتقيت حسام بدر، الزميل القديم في
اتحاد المعلمين الذي أنشأناه بعد هزيمة حزيران 1967.

في المساء، شاهدت معرض بهاء الدين البخاري للفن التشكيلي الذي أقيم في الطابق الأرضي من مبنى الوزارة. بهاء رسام كاريكاتير متميز، غير أن في بعض لوحاته مباشرة زائدة كما أعتقد. افتتح المعرض ياسر عبد ربه، وكان بهاء يستقبل الجميع بترحاب.

بعد ذلك، صعدنا إلى مكتب الوزير، وكنا مجموعة من العاملين في الوزارة: محمد البطراوي، علي الخليلي، محمد صالح الخليلي، وأنا. دار بيننا حديث في السياسة تمحور حول التطوّرات الجديدة في إسرائيل التي أسفرت عن عودة الليكود إلى السلطة، ومخاطر ذلك على قضيتنا الوطنية.

الاثنين 6/3

في الصباح، تحدّثت إلى صوت فلسطين. مدير الإذاعة باسم أبو سمية كان يدير برنامجاً مناسباً الذكرى الثانية لتأسيس الإذاعة، ويتلقى مكالمات من المستمعين يبدون فيها آراءهم في برامج الإذاعة. اتصلت بي الإذاعة، وأثنت على أداء فتحي برقاي، وطالبت بالإكثار من البرامج الثقافية. أثنت على برنامج "فلسطين مساء اليوم" الذي يشرف عليه يوسف القزّاز لأنه يسهم في إبراز الأنشطة الثقافية التي تجري في بلادنا.

قلت إنني أفتقد صوت المذيعة دانييلا خلف، التي أوقفت من العمل بقرار من السلطة الفلسطينية بسبب إعطائها الفرصة لأحد المواطنين لانتقاد أجهزة الشرطة بشكل حاد. قيل لي إن السلطة موافقة على عودتها إلى عملها، لكنها ما زالت ترفض العودة. طالبت بضرورة الإفساح في المجال أمام المعارضة الفلسطينية للتعبير عن رأيها من خلال الإذاعة.

في المساء، تأملت تجربتي في الكتابة وما شابها من انقطاعات. تأسّيت على الوقت الذي ضاع.

الثلاثاء 6/4

ما زالت "الدفاتر" تشكل هاجسي الأساس.

في الصباح، هاتفتم محمود درويش وكان في بيته في عمان. سألته عن نص الحوار الذي أجريناه معه لـ "دفاتر ثقافية". وعدني بإحضاره معه بعد يومين لدى قدومه إلى رام الله.

في الظهر، في مكتب يحيى يخلف، التقيت الشاعر مريد البرغوثي الذي عاد مؤخرًا إلى الوطن. أخبرته أننا سنجري معه حوارًا لـ "دفاتر ثقافية"، فأبدى ترحيبًا بذلك.

انتهيت من قراءة رواية "منتهى" للكاتبة المصرية هالة البدرى، التي ترصد حياة قرية مصرية خلال النصف الأول من القرن العشرين. رواية شائقة فيها لمحات كثيرة ممتعة، وفيها تطويل في بعض الأحيان.

لاعبت الحفيد بشار بعض الوقت، وكذلك الحفيد محمود الذي أبدى غيرة حينما وجدني أحتضن بشار. قربته مني وأشعرته بالحب والرعاية. كم أحبّ هذين الحفيدين!

في الليل، يهبّ هواء ساخن رغم أننا في عزّ الربيع. ويومي هذا كان
يومًا ممتعًا سلسًا مثل أيام أخرى ليست كثيرة على أية حال.

هذا يوم غير ممتع وهو مثير للأسى. تحلّ فيه الذكرى التاسعة والعشرون لهزيمة حزيران 1967 . سنوات مريرة مرّت .

أتذكّر الهزيمة ثم أتناساها، وأذهب صباحًا من بيتي الكائن في جبل المكبر إلى رام الله، قاصدًا مسرح السراج. هناك، كان من المفروض أن تودع ملابس الممثلين الخاصة بمسرحية "ديموقراطي بالعافية" بعد إحضارها من نابلس. تأكّدت من وصولها، وهاتفت الممثل زهير النوباني وأخبرته أن الملابس وصلت إلى المسرح.

اتجهت إلى مكتب الحزب لتسليم مجموعة مقالات كتبت عن إميل حبيبي، سيأخذها بشير البرغوثي معه إلى الناصرة، بناء على طلب أسرة إميل التي أبدت رغبة في جمع ما كتب عن إميل لإصداره في كتاب.

وجدت في مكتب الحزب: سليمان النجاب، عبد المجيد حمدان، وأبا كفاح العائد منذ أيام إلى الوطن. تحدّثنا عن الوضع السياسي، وعن

أساليب التعامل مع حزب الليكود الحاكم. بعد ذلك، ذهبت إلى مكتبي
في الوزارة. زارني مريد البرغوثي. تحدّثنا عن الشعر والسياسة والوطن.
في ذكرى الهزيمة سأقرأ ساعة في رواية "العاشق" للكاتب الإسرائيلي
أ.ب. يهوشوع. للمفارقات وقعها الذي لا غنى عنه بأي حال.

الخميس 6/6

كم كان صعبًا ذلك اليوم التالي للخماس من حزيران 1967! أصبحنا في بيت غير البيت الذي نملكه ويملكنا. كنا غادرنا بيتنا عصر اليوم الذي ابتدأت فيه الحرب، لأن جبل المكبر سقط في أيدي الأعداء بعد معركة غير متوازنة ولم تدم سوى سوياعات.

أصبحنا في بيت لأقاربنا بعيد من الجبل إلى حدّ ما، وكنا منذ اليوم التالي للحرب ندرك أن الهزيمة واقعة لا محالة، لأن مؤشّراتها كانت تتضح ساعة بعد ساعة مثل قدر لا يرحم.

كم كان صعبًا ذلك اليوم، وكذلك الأيام التي أعقبته، والشهور والسنوات التي مرت حتى هذا اليوم! والتي سوف تمرّ من دون أن نعرف عددها الآن.

الجمعة 6/7

نمت حتى الساعة الثانية عشرة ظهرًا. نهضت وتفقدت الحديقة المحيطة بالبيت وفيها: ثلاث ياسمينات، وردة خبيزة واحدة، وردة جوري واحدة، أنواع من نباتات الزينة التي لا أعرف لها اسمًا. وثمة أشجار مثمرة أخرى لا يزيد عددها عن اثنتي عشرة شجرة. أشعر بارتياح وأنا أقترّب من عالم النبات الذي يراقب ما حوله في صمت وثبات.

قرأت ثلاثين صفحة في رواية "العاشق". الرواية جيدة، وفيها استبطان لعلاقة اليهود بالفلسطينيين الذين بقوا في وطنهم. في الليل، أديت التمارين الرياضية الخاصة بأوجاع الرقبة. نمت عند الساعة الواحدة والنصف ليلاً.

كان يومي هذا يتراوح بين الانهك المقصود في تفاصيل الواقع والاستغراق المؤلم في الذكريات.

السبت 6/8

تمضي أيامي في غدوّ ورواح، مثل سائر الناس، وأنتقل بين القدس ورام الله باستمرار.

هذا اليوم، عدت متأخراً إلى البيت (في حوالي الثانية عشرة ليلاً) حيث أمضيت ساعات عدّة في مسرح السراج برام الله، لمتابعة التدريبات على مسرحية "ديموقراطي بالعافية" التي كتبتها عن الانتخابات الفلسطينية بأسلوب ساخر. تذرّرت من المسرحية بعد أن ابتعدت عنها (عرضت أول مرة في كانون الثاني وشباط 1996، وحظيت بإقبال جماهيري كبير). لاحظت فيها مباشرة غير محتملة ونواقص أخرى، وقد قمت بإجراء تعديلات على النص تمهيداً لاستئناف عرض المسرحية.

بعد التدريبات، دعاني زهير النوباني الذي يؤدي دور البطولة في المسرحية، لتناول طعام العشاء. ذهبنا إلى مطعم الإنجلو في رام الله. تناولنا الطعام، وتحدّثنا عن هموم المسرح. زهير سبق له أن قام بأدوار

بطولة في مسلسلات تلفزيونية كتبتها وأنا في المنفى، مثل "حدث في
المعمورة"، و"إبراهيم طوقان".
لم أقرأ شيئاً هذا اليوم.

يوم حافل بالأنشطة الثقافية، من أبرزها ندوة عن القدس في مقرّ اتحاد الكتاب. انهمكت مع الزملاء زكريا محمد، ليانة بدر، منذر عامر وحسني رضوان في متابعة إنجاز العدد الثالث من "دفاتر ثقافية". بقينا في دار الناشر حتى السابعة مساء، ثم تفرّقنا.

في المساء، ذهبت إلى عرس في كنيسة الروم الكاثوليك في رام الله. عرس حضاري في حضان الكنيسة، وثمة رجال ونساء بملابس أنيقة. العروس هي ابنة أحد الأصدقاء. كانت البهجة ترتسم على وجهها الصبوح. بعد العرس، اتجهت إلى مسرح السراج لمتابعة بروفات مسرحية "ديموقراطي بالعافية".

لم أتسامر مع أمينة ولا مع الحفيد محمود، ولم أقرأ سوى الصحف هذا اليوم.

الثلاثاء 6/11

ولا بد من السفر بين الحين والآخر.

استلمت تذكرة من مكتب الخطوط الاسكندينية في القدس. حجزت سيارة تاكسي من مكتب الزهراء لتأخذني غدًا إلى تل أبيب حيث السفارة النرويجية للحصول على تأشيرة سفر. (كم أحب السفر! وكم أكره إجراءات السفر!) في المساء، أخبرني عزت الغزاوي رئيس اتحاد الكتاب، بأنه يتعين علي أن أعبئ أنموذجًا خاصًا لتأشيرة السفر، ثم أرسله إلى السفارة على الفاكس، وبعد ذلك، اتصل السفارة بي للقدوم إلى تل أبيب. ألغيت (على الهاتف) حجز التاكسي.

أمضيت ساعات ما بعد الظهر في مكتبي لمراجعة البروفة النهائية للعدد الثالث من دفاتر ثقافية، ثم توجهت إلى مسرح السراج، حيث يستعدّ زهير النوباني وبقية فريق مسرحية "ديموقراطي بالعافية" لإجراء البروفة الأخيرة قبل الافتتاح الذي سيكون في السابعة من مساء الغد.

(لن أذهب إلى الافتتاح. كان يجب أن نختصر أكثر مما اختصرنا حتى الآن، وبالذات المشاهد المباشرة).

عدت إلى البيت. باسمه في البيت، ومعها الحفيدة شروق. أمينة متلهفة على احتضان ابنة أختها. في البيت أيضًا، هيفاء زوجة عصام، وكذلك خالد وأم خالد، ولم يكن محمود هناك. ربما كان نائمًا. شربنا الشاي معًا. ظلّت شروق متمنّعة، فلم تقترب مني للسلام علي. احتضنتها لحظات، لكنها تفلّنت مني وابتعدت. حاولت أمها أن تقنعها بالسلام علي، فلم تقتنع. أحيانًا تتمرّد عليّ لأنني لا أراها كثيرًا، لكنها خفيفة دم، وتتمتع بذكاء أكيد.

في الصباح، ذهبت لمقابلة ياسر عبد ربه في مكتبه، وجدت عنده محمود درويش والمخرج السينمائي ميشيل خليف (التقيت محمود أول مرة في بيروت في العام 1975، والتقيت ميشيل أول مرة في لندن في العام 1989، وكنت شاهدت فيلمه "عرس الجليل" وأبدت إعجابي به). تبادلنا التحيات مع محمود وميشيل، ومع الوزير الذي لم أره منذ أسبوع. بعد الظهر، ذهبت إلى مطعم البردوني في رام الله (هنا، يمكن العثور على كثيرين من أفراد النخبة الثقافية والسياسية) لتناول طعام الغداء على شرف الأمين العام للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، محمد الملي. حضر من وزارة الثقافة: ياسر عبد ربه، يحيى خليف، محمد البطراوي، ليانة بدر، وأنا. حضر كذلك محمود درويش، وجهاد قرشولي. دارت بيننا أحاديث متنوعة. كان لقاء ممتعاً، والملي شخص بالغ التهذيب.

الجمعة 6/14

بقيت طوال اليوم في البيت. تفقدت الحديقة لأن في ذلك متعة لي. قرأت أربعين صفحة في رواية "العاشق". شاهدت فيلمًا أجنبيًا اسمه "ملك الهضبة" يتحدث عن أسرة فقيرة لكنها لا تفقد ثققتها في الحياة. الأب يضطر إلى إرسال ابنه الصغير ليعيش عند أحد الأقارب لتوفير نفقات معيشته، فيما الابن الآخر الذي لا يتجاوز الثانية عشرة يمارس بعض الأعمال الصغيرة لكسب المال (أشعر بشيء من الطمأنينة لأن أبنائي لم يتعرضوا لمصير مثل هذا، وأرجو ألا يتعرض أحفادي لهذا المصير).

الجمعة يوم مريح للأعصاب.

لم يصدر كتابي بعد، وكان عليّ أن أحتمل فترة الانتظار. ذهبت إلى مقر اتحاد الكتاب في بلدة الرام الواقعة بين القدس ورام الله. سلّمني عزت الغزاوي رسوم نادية الشلبي لقصة "قالت مريم.. قال الفتى".

في المساء، ذهبت إلى مركز خليل السكاكيني لحضور مونودراما اسمها "الزاروب" لسامية البكري. المسرحية تقوم على التذكّر. تذكّر رجال ونساء من عكا، وتقديمهم في ضوء علاقتهم بالمكان. تتداخل قصص هؤلاء الناس مع السيرة الذاتية للممثلة نفسها. إنها مسرحية جيدة لولا بعض التطويل هنا وهناك، وسامية البكري ممثلة متميزة.

عدت إلى البيت في تمام الساعة الحادية عشرة ليلاً. هاتف الشاعر أحمد دحبور في غزة للتأكد من استلامه نسخة الترجمة العربية لكتاب هنري كتن (هو فلسطيني الأصل من بيت لحم واسمه الصحيح: هنري قطّان) عن القضية الفلسطينية التي أنجزها الدكتور رشدي الأشهب. قال أحمد إنه استلم نسخة الترجمة.

بين الحين والآخر اجتماع لقيادة الحزب.

في الصباح، حضرت اجتماعاً للجنة المركزية لحزب الشعب في رام الله. لم أفكر في عدد اجتماعات اللجنة المركزية التي شاركت فيها منذ أصبحت عضواً في اللجنة المركزية منذ عشرين سنة، غير أنني كنت أخرج من بعض هذه الاجتماعات وأنا متحمس لمزيد من المعرفة ولمزيد من ممارسة النضال. وبعض هذه الاجتماعات لم يكن في المستوى المطلوب. هذا اليوم، دار نقاش حول مشاركتنا في الحكومة بعد أن كنا نرفض ذلك في البداية. اتخذنا قراراً بالمشاركة.

في الليل، كان الحفيد بشار متوَعَّكاً. أعطته جدّته جرعة من الأكامول. تحسّن على نحو ملحوظ. لطفته بعض الوقت. قرأت عشرين صفحة في رواية "العاشق"، وما زلت أتابع فيها أزمة المجتمع الإسرائيلي، وذلك التخاطر العاطفي الخافت بين الشاب الفلسطيني والفتاة الإسرائيلية المراهقة.

الاثنين 6/17

في الصباح، ذهبت إلى تل أبيب للحصول على تأشيرة السفر من السفارة النرويجية. بحث السائق عن موقع السفارة، وسأل بعض الإسرائيليين عن الشارع الذي يقع فيه مبنى السفارة، أخيرًا وصلناها. أخذت التأشيرة واتجهت أنا والسائق إلى مطعم قريب. تناولنا وجبة حمص وفول مع الكولا. صاحب المطعم الإسرائيلي اقترح أن يقدم لنا قهوة على حسابه، شكرناه. إسرائيلي آخر يعمل في المطعم، اقترح أن يقدم لنا الشاي على حسابه. شكرناه، وقلنا إننا عائدان إلى القدس فورًا. (ما هذا الكرم! أعجبتني هذه الدمثة، وهي لا تتوافر لدى أولاد العم في تعاملهم معنا إلا قليلًا).

كان الطقس حارًا في تل أبيب. عدنا من الجهة المحاذية للبحر. كانت هناك أعداد كبيرة من الرجال والنساء على الشاطئ. إنهم يمارسون حياتهم في هدوء ونحن نمارس حياتنا في قلق، أو هكذا يبدو الأمر للوهلة الأولى. وصلنا القدس في حوالي الساعة الواحدة بعد الظهر.

هذا الصباح، انتقلت إلى مكتبي الجديد في الطابق السادس من مبنى الوزارة. في غرفة المكتب نافذتان كبيرتان. من إحداهما أرى مبنى المقاطعة حيث يداوم الرئيس ياسر عرفات. لي ذكريات مرة مع المقاطعة. كنت في السجن الواقع تحت سيطرة الإسرائيليين قبل سنوات. ومن النافذة الأخرى أرى المدى الواسع الممتد حتى الساحل، أرى بعض البنايات الشاهقة في يافا وتل أبيب) انتقلت معي دوائر الفنون والآداب التي تقع تحت إشرافي. ها أنذا أتورّط في العمل الوظيفي على نحو لا رجعة عنه.

انتهيت من قراءة رواية "العاشق" التي كتبها يهوشوع بعد حرب تشرين 1973، ويبدو فيها المجتمع الإسرائيلي وهو في حالة من التأزم. كما تبدو فيها صورة العربي الذي لا يمكن للإسرائيلي أن يستغني عنه، مع بقاءه في مرتبة أدنى من مرتبة الإسرائيلي. في الرواية، يمارس الشاب الفلسطيني نعيم علاقة جنسية كاملة مع الفتاة الإسرائيلية ابنة صاحب الكراج الذي يشتغل فيه، فيتعرّض للنفي إلى القرية جراء ذلك، وتلك

إشارة رمزية إلى إقصاء العربي من فضاء المدينة. أعجبتني طريقة المؤلف في السرد، وقدرته على استبطان دواخل شخوصه والتعبير عن أدق خلجاتهم.

قرأت في كتاب "الجدور اليافية" الذي يحتوي على ذكريات عن يافا. في الخارج تولول رياح صيف شديدة.

تفقدت حديقة البيت، ثم أجريت تعديلات على قصة "قالت مريم..
قال الفتى". ما زلت غير معجب بهذه القصة، ومع ذلك فأنا متشبت بها
لأنني لم أصدر كتابًا جديدًا منذ سنوات.

قرأت مجموعة إبراهيم جوهر "سر الغولة وقصص أخرى"، في
المجموعة قصص ممتعة. شاهدت فيلم "السجينة 67". لكنني غفوت
أثناء ذلك، فلم أتأسف كثيرًا. لاحظت أن إلهام شاهين بطلة الفيلم ممعنة
في السمنة، لكنها بقيت جميلة على أية حال. تابعت الاستعدادات لمؤتمر
القمة العربي. مؤتمرات القمة أصبحت روتينًا مكرّرًا. شاهدت فيلم
"الطبال الصغيرة" على شاشة التلفاز، يتحدث الفيلم عن الحروب
السرية لجهاز الموساد الإسرائيلي.

لا أشعر أنني أنجزت شيئًا كافيًا هذا اليوم. كان يمكنني أن أقرأ أشياء
أخرى، لكن الوقت يمضي سريعًا. الطقس صيفي معتدل، وثمة نسائم
خفيفة تهب عليّ الآن من النافذة.

في الصباح، جاء زهير النوباني وأجرينا مقابلة معه لـ "دفاتر ثقافية". طرحنا عليه (أنا، زكريا محمد، ومنذر عامر) أسئلة عديدة حول تجربته في المسرح والتلفزيون.

في الخامسة عصرًا، اتجهت إلى مسرح السراج، لمشاهدة فيلم "حيفا" للمخرج رشيد مشهراوي. وجدت هناك عددًا من الزملاء والأصدقاء. كان هناك أيضًا رشيد وزوجته عرين عمري، وكذلك محمد بكري (الممثل الرئيس في الفيلم). والممثل أحمد أبو سلوم ومعه الممثلة الشابة إنعام البابا التي مثلت معه في اسكتش "ديموقراطي.. ولكن" الذي كنت كتيبه قبل ما يقارب العام.

كانت لي ملاحظات على الفيلم. فيه تفاصيل غير مقنعة، وقد بدت شخصية "حيفا" كأنها فكرة وليست كيانًا بشريًا نابضًا بالحياة (رغم الجهد الكبير الذي بذله محمد بكري لتقديم الشخصية). مع ذلك فثمة تصوير جيد، وثمة مشاهد فيها عذوبة وشفافية.

عدت إلى البيت بعد انتهاء الدوام. عادت أمينة معي. اليوم، طلبوا منها في شركة المشرق التوقف عن التدريب عندهم، حيث إنهم أحضروا موظفة جديدة. كانت أمينة تتوقع أن تحل محل زميلتها التي استقالت بسبب السفر مع زوجها إلى الولايات المتحدة الأمريكية. كانت حزينة لأنهم لم يثبتوها في العمل، وكنت حزينا حزنا.

في الليل، شاهدت جزءاً من مباراة ألمانيا وكرواتيا (2-1). أحب كرة القدم وأتحمس كثيراً لمنتخب البرازيل. قرأت بعض قصائد في مخطوطة لحسين البرغوثي، قصائد حدائث مكتوبة بلغة جميلة. قرأت في رواية الطاهر وطار "تجربة في العشق" وهي غير ممتعة. فيها سيل لا ينقطع من الأفكار والمعلومات.

أتوق إلى كتابة قصة قصيرة واحدة، لكنني لا أستطيع ذلك حتى الآن.

وصلت مكتبي في العاشرة. أنجزت مجموعة من المهام الخفيفة، ثم جاءت طالبة من أحد المعاهد لإجراء مقابلة معي حول أدب الأطفال. بعد انتهاء الدوام ذهبت إلى العيادة لتلقي علاج طبيعي لرقبتي. عدت إلى البيت. هاتفني الكاتب والإذاعي عبد السلام العابد من الإذاعة لإجراء حديث معي حول "دفاتر ثقافية" وقضايا ثقافية أخرى. تحدّثت على الهواء مباشرة مدة عشر دقائق. هذا التنوع في الأنشطة هو أحسن وصفة للتشتت ولعدم القدرة على كتابة قصة واحدة. لم أقرأ الصحف هذا اليوم، ولم أقرأ درس اللغة العبرية.

ولا تتوقف الأنشطة عند حد.

هذا اليوم، واصلنا الاستعداد للاحتفال بجائزة توفيق زياد الأدبية.
ورّعنا البطاقات على المدعوّين.

جاءت الممثلة فالتينا أبو عقصة وأعطتني درسًا في اللغة العبرية، ولم
يكن الأمر ناتجًا عن ترتيب مسبق.

ذهبت بعد الدوام إلى مقرّ نقابة المهندسين في رام الله، لكي أستلم
الرسوم من المهندسة الرسامة نادية الشلبي. لم تعجبني لوحة الغلاف
وكذلك الرسوم الداخلية. فيها تبسيط أكثر مما ينبغي، وفيها أخطاء في
التنفيذ لا ينبغي الوقوع فيها.

سهرنا أنا والعائلة في ساحة البيت. تناولنا طعام العشاء. شوينا لحماً
على النار وانبسطنا. أمينة كانت تشاظرنا السهر في هدوء، ومحمود كان
يركض من حولنا في فرح.

زارني نعيم الأشهب، والدكتور عبد الحليم شتات. كان أول تعارف لي مع عبد الحليم في رام الله، أثناء عمله موظفًا في البريد في العام 1965. وكان هو مسؤول أول خلية حزبية أمارس نشاطي من خلالها.

عبد الحليم مقيم الآن في براغ، وهو متزوج من طبيبة تشيكية، وقد التقينا في براغ وأمضينا وقتاً طيباً هناك.

وكان أول تعارف لي مع نعيم الأشهب في القدس بعد هزيمة حزيران 1967. أفرجت عنه السلطات الأردنية بعد الهزيمة. كان معتقلاً في زنازين المخابرات بسبب انتمائه السياسي. عاد إلى البلاد ولم تلبث سلطات الاحتلال أن اعتقلته، ليقضي في سجونها مدة زادت عن ثلاث سنوات، ثم أبعدته إلى الخارج، واستقرّ في براغ ممثلاً للحزب في مجلة "قضايا السلم والاشتراكية".

ثمة كتب كثيرة ووقت قليل. وأنا بحاجة إلى أن أتفرّغ للقراءة وللكتابة.

الاشنين 7/1

حاولت أن أكتب كلمة لإلقائها في حفل توزيع جائزة توفيق زياد الذي تقيمه وزارة الثقافة غدًا على مسرح السراج/رام الله. لم أستطع كتابة سطر واحد. كثيرًا ما يعتريني مثل هذا الخواء الذي يجعلني غير قادر على الكتابة. غدًا، سأحاول أن أكتب الكلمة.

هذا الانقطاع عن كتابة اليوميات لمدة خمسين يومًا لا سبب له سوى الانشغال في أمور شتى. ولعلّ مواصلة الكتابة أن تكون هي الرد الأنسب على الانشغالات.

في مثل هذا اليوم من العام 1969 أحرق المحتلون الإسرائيليون الحرم القدسي (أحد صنائعهم قام بذلك). وقد تصدّى آلاف الرجال والنساء من مواطني القدس للجريمة، وأخذوا الحريق بعد ثلاث ساعات من الجهد المضني. كنت يومها في سجن المسكوبية بالقدس، حيث اعتقلت في حوالي العاشرة والنصف من ليل 1969 / 7 / 28.

هذا المساء، انتهيت من قراءة "غربة الراعي" وهي السيرة الذاتية للدكتور إحسان عباس التي ضمّنها رحلة كفاحه في التحصيل العلمي، في حين أنه لا يبوح إلا بالقليل حول جوانب حياته الشخصية الأخرى. وقد لفت انتباهي كيف أن إحسان عباس كان حتى وقت متأخر من حياته أسير نظراته القروية الضيقة إلى ما يتعلق بالمرأة، وهو أمر يصدق

عليّ إلى حدّ ما رغم محاولاتي الدائبة لتخطّيه، فأنا تقدّمي حينما أكتب عن المرأة، لكنني في الممارسة لا أزال واقعاً إلى حدّ ما تحت تأثير الرواسب التي علقت بي من بيئتي المحافظة.

هاتفني عبد المجيد حمدان، من أجل اجتماع يعقد يوم السبت 8 / 24 في مكتب الحزب برام الله، لترتيب احتفال في الذكرى العشرين لوفاة قائد الحزب فؤاد نصار التي تصادف الثلاثين من أيلول 1996 (ما زلت أذكر جنازته المهيبة. كنت يومها أعيش في عمان مبعداً من القدس. خرجنا به من بيت الدكتور يعقوب زيادين الكائن في حي أم أذينة في غرب عمان، ومضينا إلى مقبرة في شرق عمان. ما زلت أذكر لحظاته الأخيرة وهو على فراش المرض بعد إصابته بالسرطان. كان يتحدث في السياسة وهو في وضع صحي صعب. آنذاك كانت مذبحه مخيم تل الزعتر في لبنان هي الحدث الأبرز في نشرات الأخبار، وكان أبو خالد وهو على فراش المرض يتحدث عن النزعة البونبارتية للرئيس حافظ الأسد).

الأب 9/8

عدت من السفر. كنت في هولندا أنا وجمال غوشة ورائدة غزالة لحضور مهرجان المسرح الهولندي. كان خالد وعصام في انتظاري عند مدخل المطار. ركبنا سيارة خالد وعدنا إلى البيت.

جلست بعض الوقت مع العائلة. زوجتي كانت بخير وكذلك أمينة التي ما زالت قادرة على المشي على قدميها. فرحت لبشار الذي أصبح يمشي الآن، ولكنه لم يتعرف علي بسبب انقطاعي عنه فترة غير قصيرة (كان مع أمه التي ذهبت لزيارة أهلها في عمان) وفرحت لمحمود الذي اغتنت مفرداته قليلاً، ولشروق التي أصبحت تألفني ولا تتهرّب مني. زرت الوالد والوالدة ومكثت عندهما ساعة قضيناها في أحاديث بسيطة تتخللها أسئلة مختصرة وأجوبة غاية في الاختصار.

كنت على ثقة بأن هذا الجو الأسري ضروري في مثل هذا الزمن. ضروري لي مثلما هو ضروري لمن هم حولي.

استلمت رسالة من الشاعر النرويجي كنوت أوديجارد رئيس مهرجان
بيورنسن الذي شاركت فيه قبل شهرين، وقد أرسل لي ديواناً له باللغة
الإنكليزية، واقترح عليّ أن أترجمه إلى العربية. كنوت مقيم في مدينة
"مولدي" في بيت هادى مع زوجته الفنانة. وحينما كنت هناك، أمضيت
أمسية جميلة مع عدد من المدعوين والمدعوات في هذا البيت.

اجتمعنا، ياسر عبد ربه، يحيى يخلف وأنا، وثبتنا أسماء الكتاب
والفنانين التشكيليين الذين سوف يشاركون في الموسم الثقافي الفلسطيني
في باريس. كنت قد شطبت اسمي حتى لا يقال إنني أشرفت على تحضير
هذا الموسم وأعطيت لنفسي امتيازاً بالمشاركة.

الجمعة 9/20

عدت من باريس بعد رحلة قصيرة لها علاقة بالتحضير للموسم الثقافي الفلسطيني، وأصبت بالأنفلونزا نتيجة للتغير في الطقس. أشعر بالتحسن بعد التهام كميات من الأكمول خلال اليومين الماضيين. بقيت ممدداً في الفراش أستمع إلى الإذاعة الفلسطينية.

حينما عدت من باريس، كان خالد ينتظري في المطار. عدنا إلى جبل المكبر، وتوجهنا إلى بيت أمين الذي استأجره في الجبل على مسافة من بيتنا. احتفلنا مع العائلة بعيد ميلاد بشار. عمره الآن سنة واحدة. ولد في 17/9/1995 وهو يوم ذكرى مذبحة صبرا وشاتيلا. بشار طفل وسيم حادّ الذكاء. كان هناك أيضاً الحفيد محمود خالد، الذي ينطق اسمه كلما سألته عنه على النحو التالي: مهمود آدد.

كتبت مقالة عن المهرجان العاشر للمسرح الهولندي لنشرها في "دفاتر ثقافية".

كنت في أمستردام لحضور عروض المهرجان، وقد أتاحت لي فرصة مشاهدة عدد من المسرحيات المتنوعة في مضامينها وفي أساليبها الفنية وفي إعطاء حيز أكيد لنزعة التجريب، وأبرز مثال على ذلك عرض مسرحي يتحرّك فيه الممثلون والممثلات تحت مياه متساقطة من أعلى. قدّم لنا المشرفون على العرض شرافف من النايلون لحمايتنا من رذاذ المياه المتطايرة نحونا.

الشوارع مليئة بالجنود الإسرائيليين ورجال الشرطة تأهبًا لقمع أية تظاهرات بعد الهبة الشعبية العارمة. استمرّت الهبة ثلاثة أيام. يوم أمس اشتعلت المواجهات العنيفة في المسجد الأقصى وفي كل أنحاء البلاد. كان الحضور إلى الوزارة محدودًا هذا اليوم. حالة من الحزن والأسى والغضب تسيطر على الناس بسبب الدماء التي سالت خلال الأيام الثلاثة الماضية. زميلتنا اعتدال عبد الغني استشهد أخوها في المواجهات عند مدخل البيرة.

في الساعة الرابعة من بعد الظهر، عقدنا اجتماعًا في مكتب الحزب من أجل التحضير للاحتفال بالذكرى العشرين لرحيل فؤاد نصار. تداولنا في بعض القضايا الخاصة بالاحتفال.

هذا اليوم، يصادف الذكرى السادسة والعشرين لرحيل القائد جمال عبد الناصر. كم تردّت أحوال الأمة بعد وفاته! كان، على الرغم من

فرديته وأخطائه، قائدًا قوميًا قادرًا على إشاعة الأمل في نفوس الناس.
خسرنا عبد الناصر في زمن شديد الالتباس.

الاثنين 9/30

هذا يوم شديد التفاهة. لم أذهب إلى العمل لسببين، الأول هو أنني لم أتمكن من دخول رام الله يوم أمس إلا بصعوبة، فقد وجدت منطقة مخيم قلندية مغلقة، حيث كان الجيش يتأهب لاقتحام المخيم.

حاولت الدخول إلى رام الله من مداخل مختلفة، كانت كلها مغلقة بحواجز عسكرية. أخيراً دخلت من جهة بيتونيا بعد أن أبرزت للجيش بطاقة الصحافة التي أحملها، وهي بطاقة إسرائيلية من بيت أغرون، حصلت عليها بعد أن توليت رئاسة تحرير صحيفة "الطلعة" المقدسية. أما السبب الثاني فله علاقة بسيارتي الهرمة. أمضيت وقتاً طويلاً في كراج لتصليح السيارات.

هاتفني حنا عميرة مساء أمس، واقترحت علي الانضمام إلى الوفد الذي سيذهب إلى الناصرة اليوم لحضور الاحتفال الذي سيقام لمناسبة الذكرى العشرين لرحيل فؤاد نصار. اعتذرت عن عدم الذهاب، بسبب وجود أختي القادمة من الأردن في بيتنا.

كتبت رسالة للشاعر النرويجي كنوت أوديجارد ردًا على رسالة تلقيتها منه (أرسل لي كتابًا باللغة الإنكليزية يتضمّن مختارات من شعره، بعضها أعجبني وبعضها الآخر لم يعجبني). وعدته في الرسالة بأنني سأترجم إلى العربية شيئًا من شعره.

مظاهر العسكرة وتحشّات الدبابات تتزايد من حول المدن الفلسطينية. شاهدت على التلفاز الإسرائيلي ندوة يتحدث فيها اثنان من المتطرفين الصهاينة، واثنان من المعتدلين الإسرائيليين المؤيدين لاتفاق أوسلو. أحد المتطرفين كان يقول إن عرفات نازي!

انهمكت في القراءة والكتابة والرسم وقتاً غير قليل.
أضفت بعض الرتوش الصغيرة إلى لوحة الكولاج التي أنجزتها الليلة
الفاتئة، وهي مكوّنة من أسلاك وعيدان ومسمارين. قرأت ملفاً في جريدة
"أخبار الأدب" المصرية عن السريالية، وعن مؤسسها الشاعر أندريه
بريتون (الاعتماد على الكتابة الأتوماتيكية وتقارير الأحلام)، ورغم
النزعات اللاعقلانية في السريالية، فقد كانت صرخة مدوية في الحياة
الثقافية الأوروبية، امتدّ تأثيرها إلى بلدان أخرى (مصر مثلاً).
كتبت مقالة عن مجموعة "النخلة المائلة" للقاص محمد علي طه.
شعرت بارتياح. تلك الحالة تعتريني كلما فرغت من كتابة مقالة أو نص.

هذا يوم مرهق باعث على الأسى. اجتمعنا في الوزارة لتحديد مهامنا وقت الطوارئ. كان الاجتماع فضفاضا مفتقرا إلى الإقناع. بعد الاجتماع عدت إلى مكنتي. مديرة المكتب، آيات، متغية عن العمل منذ أسبوع. ذهبت إلى بيت أهلها في قلقيلية، ولم تعد قادرة على القدوم إلى رام الله بسبب الحصار.

جاءت علا الطبري تسألني عن إمكان قيامها بتنسيق أنشطتنا في الربيع الفلسطيني الذي سيقام في باريس العام 1997 ولم أعطها جواباً محدداً. أخبرتني أنها قرأت مجموعتي القصصية "طقوس للمرأة الشقية" وأعجبت بها (علا شابة نحيلة الجسد واسعة العينين وهي نشيطة مثابرة). سألتني لماذا لا أفكر بتحويلها إلى نص مسرحي؟ فاجأتني الفكرة، وأنا الآن أفكر فيها.

ذهبت أنا ومنذر عامر إلى مكتب زكريا محمد المجاور لمكتبي. شاهدت بعض المنحوتات في مكتبه وهي من إنجازة. حرّضني زكريا على

الاهتمام بالنحت، وكان قد حرّضني قبل أشهر على الاهتمام بالرسم. أحضرت معي إلى البيت حجرًا التقطته من قطعة أرض مجاورة للشارع، لأجرب عليه أولى محاولاتي في النحت. تحسّبت وأنا عائد في الليل إلى البيت من تفتيش مفاجئ تقوم به إحدى دوريات الجيش. قد يسألني أفراد الدورية عن هذا الحجر، وقد يستريبون في الأمر، خصوصًا وأنهم لم ينسوا بعد انتفاضة الحجارة.

مع ذلك، وصلت إلى البيت ولم توقفي أية دورية للتفتيش.

الاثنين 10/7

جاء زكريا محمد إلى مكتبي. تحدّثنا عن العدد القادم من "دفاتر ثقافية". حدّثه عن تجربتي الأولى في النحت. كانت التجربة غير مشجعة. نصحني بأن أواصل العمل. وقال إن ثمة حجارة يمكن العمل عليها بالمبرد والسكين.

جاء عزت الغزاوي رئيس اتحاد الكتاب، ووضعنا التفاصيل لورشة عمل مشتركة حول أدب الأطفال، ثم ذهبنا إلى مكتب يحيى يخلف لمتابعة الاتفاقية التي أعدناها سابقاً بين الاتحاد والوزارة.

جاء نعيم الأشهب، وذهبنا معاً لمقابلة ياسر عبد ربه. سلّمناه كتاب الدعوة للاحتفال بالذكرى العشرين لرحيل فؤاد نصار الذي سيقام بتاريخ 14/10/1996 في رام الله، لكي يلقي كلمة في الاحتفال.

جاء زهير النوباني. تحدّثنا عن فكرة تحويل مجموعتي القصصية "طقوس للمرأة الشقية" إلى مسرحية، ثم دعوته إلى مطعم شقيرة في الحي

القديم بمدينة رام الله. تناولنا طعام الغداء في المطعم الذي تزدان حيوانه
بأدوات من تراثنا الشعبي.

الساعة الآن الثانية عشرة والرّبع ليلاً. انتهيت من كتابة مقدّمة لمجموعة قصصية للكاتبة إيمان بصير موسومة بـ "خاطئة" وهي قصص جيدة عموماً. (هناك قصص ضعيفة وتكاد أن تكون مجرد خواطر، لكنها قليلة في المجموعة).

قبل ذلك، كتبت افتتاحية العدد السادس من "دفاتر ثقافية". كتبت عن الهبة الشعبية الأخيرة ودور المثقفين في هذه المرحلة. قبل ذلك، تناولت طعام الغداء في بيت أخي محمد، حيث أولم وليمة للأخت فاطمة وزوجها القادمين من مدينة الزرقاء. أتممت أثناء النهار قراءة مسرحية "الحبل المتهدل" للكاتب الإسباني فرناندو آرابال. مسرحية متوسطة المستوى.

قبل ذلك بسنوات، وفي مثل هذا اليوم من العام 1959، بدأت حياتي الوظيفية، مدرّساً في مدرسة ابتدائية في قرية خربثا بني حارث التي تبعد من رام الله خمسة وعشرين كيلومتراً. ومن المؤكد أن إحساسي بالقرية

اللسطينية الذي تبدّى في مجموعتي القصصية "خبز الآخرين" نابع في الأساس من هذه القرية التي أحببتها وأحببت أهلها.

المكان: مسرح السراج في رام الله. الزمان: الساعة الرابعة بعد الظهر.

أقام الحزب حفلاً في مناسبة الذكرى العشرين لرحيل فؤاد نصار (الأمين العام السابق للحزب الشيوعي الأردني). كنت مديراً للحفل الذي تحدّث فيه: د. حيدر عبد الشافي. فائق ورّاد. عبد الجواد صالح. توفيق طوبي. وبشير البرغوثي (لم يحضر ياسر عبد ربه لأنه كان مسافراً).

حضر الحفل حوالي أربعمئة شخص. أُلقيت كلمة قصيرة ثم قمت بتقديم المتكلمين قبل إلقاء كلماتهم. لاحظت الدموع تسحّ من عيني رقية النجاب، زوجة فائق وراد وهو يرتجل كلمته. كانت كما يبدو لي دموع الفرح لأن زوجها الذي يعاني من المرض، ما زال قادراً على أداء دوره في الحياة، وهي أيضاً- كما أعتقد- دموع الحزن على هذا المناضل الذي كانت له تضحيات جمة، لكنه الآن غير قادر على القيام بأعباء كبيرة (أصابته جلطة دماغية قبل سنوات حينما كان في الجزائر لحضور دورة اجتماعات للمجلس المركزي الفلسطيني، وما زالت آثارها باقية عليه حتى الآن).

قرأت مخطوطة روائية للكاتب يحيى يخلف موسومة بـ "نهر يستحم في البحيرة" هي أقرب ما تكون إلى رواية السيرة، حيث يجري التركيز على شخصية الراوي-البطل، أما الشخصيات الأخرى فلم تنل حظها الكافي من الاهتمام.

مضمون الرواية ينحاز لجهة الرفض بسبب التعنت الإسرائيلي. الرواية تغلق الباب أمام التعايش بسبب هذا التعنت، وفيها بعض الشعارات المباشرة مثل: ما أخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة. مع ذلك، فإن لغة السرد فيها جميلة، وهي مليئة بالتفاصيل المحببة، وتتجلى فيها الذاكرة الفلسطينية التي تزخر بتفاصيل التفاصيل عن الوطن.

يحيى يخلف من الكتاب الفلسطينيين الذين ظهروا على صفحات مجلة "الأفق الجديد" أوائل الستينيات، وكان آنذاك كاتبًا للقصة القصيرة وهو يكتب الرواية الآن.

الاثنين 11/4

انتهينا من قطف الزيتون. زيتوننا الذي زرعه الوالد والوالدة قبل سنوات. شاركت مع العائلة في القطف. واليوم ذهبت أنا والوالد إلى معصرة بيت جالا لكي نعرف متى يحين دورنا لعصر الزيتون. أعادنا الجنود المرباطون على مدخل بيت لحم، بسبب إجراءات الحصار المشدّد المفروض هذه الأيام على المدن الفلسطينية، خوفًا من عمليات تفجير يقوم بها أعضاء الجهاد الإسلامي ضد إسرائيل في مناسبة مرور عام على قيام الموساد الإسرائيلي باغتيال د. فتحي الشقاقي، زعيم الجهاد، في مالطا، أثناء عودته من ليبيا (فتحي كان مدرّسًا في مدرسة دار الأيتام الإسلامية في القدس أوائل السبعينيات، وقد عملنا معًا في تلك المدرسة سنة واحدة).

قرأت روايتين للأطفال للكاتبة السويدية أستريد لندجرين، هما "الأخوان" و"ميو يا ولدي"، وقد أعجبتني قدرة المؤلفة على التحليق بعيدًا في عالم الخيال.

الاثنين 11/11

تسامرت مع الحفيد محمود. وجدت أنه تعلّم كلمة جديدة: مات. تردّدت هذه الكلمة أمامه خلال اليومين السابقين بسبب وفاة أحد الأقارب.

دخلت إلى غرفتي للقراءة. بعد دقائق، سمعت النساء يتصايحن في الخارج. خرجت مسرعاً وأنا أتساءل عما حدث. كان الحفيد محمود قد صعد إلى سطح البيت. ولم يعجبه أن يبول إلا وهو واقف على حافة السطح، وأثناء ذلك اختلّ توازنه وسقط على الأرض بين أسطوانة الغاز وحوض الزهور. راح يبكي ودمه يسيل من رأسه.

نقلناه إلى مستشفى المقاصد في القدس. بعد ذلك، طمأننا الأطباء: ليس ثمة خطر. نجا محمود بأعجوبة لأنه سقط في حوض الزهور. كنت أتأمله وهو ممدّد في سرير المستشفى شارد النظرات كما لو أنه يستعيد في ذهنه ما وقع له.

شاهدت في الليل فيلم "الإرهابي" الذي يقوم بدور البطولة فيه الفنان عادل إمام، والفيلم من إخراج نادر جلال. فيلم جيد يفصح ممارسات الأصوليين المتطرفين الذين يمارسون العنف والاعتيالات.

هاتفني محمود درويش، واقترح عليّ أن أكتب نصًّا لمجلة "الكرمل" تحت عنوان "ذاكرة المكان..مكان الذاكرة". تحمّست للاقتراح، ووعدت بإنجاز النص خلال شهرين، ثم اتفقنا على اللقاء بعد عودته من السفر. جاء فاروق وادي من عمان (حينما كنت مدرّسًا في الهاشمية كان فاروق طالبًا في مدرسة رام الله الثانوية، ومنذ تلك الفترة كانت ميوله الأدبية تترسّخ على نحو أكيد). أبدى إعجابه بمجلة "دفاتر ثقافية" وواعد بالكتابة إليها. وكنا نشرنا له مقالة جيدة عن فيلم إيراني مأخوذ عن رواية غسان كنفاني "عائد إلى حيفا".

وجاء من عمان الناشر فتحي البس، صاحب دار الشروق للنشر والتوزيع. تحدثنا عن هموم نشر الكتاب الفلسطيني.

الخميس 11/14

ذهبت إلى بيت لحم لتمثيل وزارة الثقافة في الاحتفال الذي أقامه المنتدى الثقافي الإبداعي بمناسبة الذكرى الثامنة لإعلان الاستقلال. بيت لحم مدينة جميلة، ذهبت إليها أنا وجمال غوشة مدير المسرح الوطني الفلسطيني.

وأنا أتابع وقائع الحفل في قاعة مطعم الروف، خطرت ببالي أفكار لقصص قصيرة تنبني على السخرية مما في حياتنا اليومية من بؤس وتسطيح وتفاهة. توصلت إلى تصوّر أوّلي حول كتابة قصصية بأسلوب يوحى بالانقطاع في مسار السرد، وبالتنقل من شخصية إلى أخرى تعبيراً عما في حياتنا المعاصرة من تشتت وتفكك وشرذمة.

بقيت في البيت حتى الرابعة مساء. (اليوم عطلة لمناسبة عيد الاستقلال الذي صادف يوم أمس). ارتديت ملابسني وذهبت مع عدد من أبناء العائلة إلى حي "شعب العنب" الواقع على تخوم السواحة (كم يعجبني اسم هذا الحي!)، للاعتذار لإحدى العائلات هناك، عن حادث سير تسبّب فيه أحد أبناء العائلة، وأدى إلى إصابة طفل في العاشرة إصابة طفيفة.

عدت إلى البيت في السادسة والنصف مساء وأنا متنغص من هذا المشوار الذي لم يكن في البال (لأنني كنت راغباً في تمضية هذا اليوم في القراءة). في فترة الظهيرة قرأت خمسين صفحة في كتاب "سيرة مدينة" لعبد الرحمن منيف الذي يتحدث فيه عن عمان في الأربعينيات. لم يعجبني حديث الكاتب عن نفسه بضمير الغائب. كأننا أمام عمل روائي لا سيرة ذاتية. هذه الليلة، يميل الطقس إلى البرودة إلى حدّ ما.

الاثنين 11/18

جاء إلى مكتبي الدكتور سمير سلامة خليل، وهو أحد طلابي الذين درّسهم في المدرسة الهاشمية الثانوية بالبيرة في الفترة بين 1963-1965. تبادلنا الحديث حول تلك الأيام التي وصفتها بأنها الأجل طوال سنوات اشتغالي في مهنة التدريس.

وجاء طالب آخر من طلابي في المدرسة نفسها، اسمه مخلص عودة من قرية نعلين. تذكّرت على الفور لأنه كان لاعباً في فريق المدرسة لكرة القدم، وهو الآن صاحب مشاريع ويتأهب لخوض الانتخابات للبرلمان الأردني للمرة الثانية (لم يحالفه الحظ في المرة الأولى قبل ثلاثة أعوام). سمير سلامة أيضاً كان من الطلبة الذين لم يغيبوا عن الذاكرة، لأنه كان متميّحاً لحركة القوميين العرب بتأثير من أسرته. كان يحاورني في السياسة باستمرار، وكنت أختلف معه ولكن بأسلوب ديموقراطي، فلم ينس هذا الأسلوب المرن في الحوار، وقد أصبح بعد سنوات عضواً في الحزب الشيوعي، ثم انسحب منه نتيجة خلافات سياسية.

بعد انتهاء الدوام، ذهبت إلى بيت الكاتب عزت الغزاوي تلبية
لدعوته لي على الغداء، على شرف كاتبة نرويجية جاءت في زيارة إلى
فلسطين. الكاتبة بالغة التهذيب. أوصلتها بسيارتي إلى القدس، في طريق
عودتي إلى البيت.

هذا الصباح، فاجأتني مجلة "عشتار" التي يصدرها عدد من كتابنا الشباب في غزة، حينما قرأت فيها ما مفاده أنني مع كتاب آخرين لم نعد نكتب شيئاً جديداً، وأنّ لغتنا أصبحت عانساً. ثم يتحدث محرّر "عشتار" عن جيل جديد من كتاب القصة الذين يحملون عبء التجديد.

غير أنّ أحد هؤلاء الكتاب وهو تيسير محسن، يقول في معرض الحوار معه إنه تأثر بأسلوب في الكتابة القصصية، وبالذات في ميدان القصة القصيرة جداً. قد يعتقد هؤلاء الشباب أن رجم من سبقوهم بالحجارة هو الذي يأخذهم إلى التجديد، والحقيقة هي غير ذلك.

هذه الليلة، تدرّبت على الكتابة على الكمبيوتر مدّة ساعة. أمينة أيضاً أخذت تمارس الطباعة على الكمبيوتر، غير أن يديها سرعان ما تتعبان. والحفيد محمود أبدى اهتماماً بالكمبيوتر، وهو لا يجيد التلفظ باسمه حتى الآن، إذ يقول: أبوتل. وأنا أتهياً لكتابة نص طويل عن القدس.

الأربعاء 11/27

كم أشفق على حفيدي محمود! وكم أخشى على مستقبل أمانة! مع ذلك، أظّل متكتّمًا ولا أفصح عن خشيتي ولا عن إشفاعي. أتصرّف مع الحفيد ومع الابنة على نحو عادي كما لو أن كل شيء على ما يرام. في الخارج يهّب هواء عليل، وأنا أواصل حياتي من دون صعوبات كثيرة، بعد ثلاث سنوات من عودتي إلى الوطن، وفي ذلك عزاء غير قليل.

وصلت يوم أمس إلى منتجع "بيت أورين" القريب من سجن الدامون، للمشاركة في ندوة حول أدب الأطفال، نظمها مركز أدب الأطفال التابع للكلية العربية في حيفا (مدير المركز د. نعيم عرايدي).

ألقيتُ كلمة في الافتتاح، ذكرتُ فيها أن هذه هي المرة الثانية التي أزور فيها هذه المنطقة. أما المرة الأولى فقد كانت قبل أكثر من خمسة وعشرين عامًا، حينما دخلت سجن الدامون معتقلاً بسبب نشاطي السياسي ضد الاحتلال، ثم تحدثت عن محاولات المتطرفين الإسرائيليين تخريب مسيرة التسوية هذه الأيام، وتحدثت عن أهمية إحلال السلام في منطقتنا، الذي لن يتحقق دون الاعتراف بحق تقرير المصير للشعب الفلسطيني.

في العاشرة والنصف من صباح هذا اليوم، اصطحبني الكاتب أنطوان شلحت في سيارته إلى سجن الدامون، لإلقاء نظرة من الخارج على السجن الذي غادرته بتاريخ 7 / 5 / 1970 بعد اعتقال إداري دام عشرة

أشهر. وقفنا على مقربة من سور السجن بأسلاكه الشائكة وبوابته
السميكة، وطافت بذهني صور شتى من أيام الاعتقال المقيتة.

الجمعة 12/6

حينما شاهدتهم على شاشة التلفاز عادت إلى ذهني ذكريات عمّان. على شاشة التلفاز الأردني، كان ثمة حفل لتكريم المبدعين الأردنيين، الذين فازوا في مهرجانات عربية ودولية في مجالات الغناء والتمثيل. سررت وأنا أشاهد أصدقاء وزملاء لي بين الحضور، ممن سبق لهم أن عملوا في مسلسلات تلفزيونية كتبتها في سنوات الثمانينيات، وقام ببثها التلفاز الأردني وغيره من محطات التلفزة العربية. وتذكرت السنوات التي قضيتها في عمان، وكانت لي فيها علاقات واسعة مع كتاب وصحافيين وفنانين.

شاهدت المخرج صلاح أبو هنود الذي أخرج مسلسلين لي هما: "عبد الرحمن الكواكبي"، و"حدث في المعمورة". شاهدت نبيل المشيني الذي قام ببطولة الكواكبي، ومحمد العبادي الذي قام ببطولة حدث في المعمورة مع زهير النوباني وعبير عيسى ومحمود أبو غريب وعادل عفانة وآخرين. شاهدت محمد القباني الذي قام ببطولة مسلسل "إبراهيم طوقان"،

وجوليت عواد وداود جلاجل اللذين قاما ببطولة مسلسل "دروب لا
تلتقي"، والمسلسلان الأخيران من تألّفي وإخراج: موفّق الصلاح.
كانت لي في عمّان أيام حافلة بالأنشطة الثقافية والنقابية والسياسية،
وبالذات من خلال رابطة الكتاب. كانت لي فيها صداقات ما زالت ممتدة
حتى الآن. أقمت في عمّان أربع عشرة سنة.

كيف تتراكم معاناتنا من الاحتلال! كيف يضع الوقت هباء! في الظهيرة، ذهبت أنا وزوجتي وابنتي أمينة إلى رام الله. استغرقتنا الطريق حوالي ساعتين (عادة أقطع المسافة نفسها بسيارتي خلال خمس وأربعين دقيقة) وذلك لأن الجيش أغلق بعض شوارع القدس لسبب ما. اتجهنا إلى بيت حسام وباسمة، وأمضينا وقتًا غير قليل هناك. في المساء، ذهبنا لزيارة محمد أبو شمعة في بيته الكائن في البيرة، وذلك بمناسبة عودته هو وأسرته إلى الوطن قادمين من عمان. في الليل، قرأت سيناريو فيلم "المومياء" لشادي عبد السلام، ثم شاهدت الفيلم. أسلوب شادي عبد السلام في الإخراج متمع وشاعري. نسمع عزف الريح الصحراوية طوال أحداث الفيلم، وأما حركة شخصيات الفيلم فهي محسوبة بدقة، والحوار يدور باللغة الفصحى وهو مشحون بالدلالات.

هاتففت الشاعرة فدوى طوقان، المقيمة في نابلس، لترتيب لقاء لعدد من الشعراء. (كم أحببت رقّة فدوى ودمائة خلقها! كنت استمعت إليها أول مرة وهي تقرأ قصائدها في بيت لحم بعد هزيمة حزيران 1967 ولم تعرفني يومها. تعارفنا بعد ذلك بخمس عشرة سنة في عمّان، حينما شرعت في الإعداد لكتابة مسلسل "إبراهيم طوقان". التقيت فدوى مرّات عدّة آنذاك لكي أعرف منها بعض التفاصيل عن حياتها وحياة أخيها إبراهيم. وامتدّت صداقتنا حتى الآن).

صادف هذا اليوم ذكرى انطلاقة الانتفاضة الأولى العام 1987. حينما اندلعت الانتفاضة كنت في براغ، ممثلاً للحزب في مجلة قضايا السلم والاشتراكية. وكانت أول ندوة تحدّثت فيها عن الانتفاضة، في براغ، أمام عدد من الطلبة العرب، وشارك معي في الندوة الدكتور عمر شاهين ممثل الحزب الشيوعي الأردني في المجلة.

ألهمتني الانتفاضة كتابة عدد من القصص القصيرة جدّاً ظهرت في مجموعتي القصصية "صمت النوافذ" (كنت سميتها في طبعتها الأولى

"ورد لدماء الأنبياء"، ثم غيرت الاسم في الطبعة الثانية لما فيه زخم شعري لا يناسب مجموعة قصصية).

توقعنا يومها أن الانتفاضة يمكنها أن تنهي الاحتلال. ولم ينته الاحتلال، غير أن الانتفاضة أسهمت بطابعها الشعبي السلمي في حشد تأييد عالمي واسع للقضية الفلسطينية ولتضحيات الشعب الفلسطيني.

الجمعة 12/13

ما زال الحفيد محمود يجد صعوبة في النطق.

ذهبت معه إلى مركز لتدريب الأطفال على النطق في بيت حنيننا. كان المسؤول هناك قد شكّا من مشاغبات محمود وعدم انصياعه له، فاقترح أن أحضر أنا وأمه معه، لعله يستجيب للدرس. ذهبت معه، وكان الطقس ماطرًا، ولم يستجب محمود للمدرب إلا على نحو محدود. في البداية، حاول أن ينطق بعض الكلمات، ثم أخذ يشتم المدرب قائلاً له: نون! (يقصد: مجنون). أحب هذا الطفل، وأفرح لمشاغباته، وأنتظر اليوم الذي أراه فيه وهو يتكلم بسهولة. إنه ظريف، لكنه لا يجيد النطق حتى الآن مع أنه تجاوز الرابعة من عمره، وأنا قلق عليه لاحتمال أنه يعاني من تخلف عقلي على نحو ما.

في الخارج، ينهمر مطر خفيف، يجعل الليل رونقًا وعذوبة. أستمع إلى صوت المزاراب، وهو يثير في النفس مشاعر الحنين إلى اللحظات من الصفاء والسلام مع النفس.

الثلاثاء 12/17

زارني محمد مطالسة، من معهد العالم العربي في باريس، لمتابعة التحضيرات للربيع الفلسطيني، وكنت تلقيت دعوة من مليكة (جزائرية الأصل) مسؤولة القسم الثقافي في القنصلية الفرنسية بالقدس، لحضور حفل استقبال في بيتها لكل المعنّين بالتحضير للربيع الفلسطيني في باريس، يوم الخميس القادم، الساعة السادسة مساءً.

هاتفتم محمود درويش ودعوته لتناول طعام الغداء في مطعم شقيرة. دعوت على الغداء كذلك: سليمان النجاب وأكرم هنية. أمضينا وقتاً ممتعاً في هذا المطعم الكائن في مبنى قديم من مباني رام الله. تحدثنا في موضوعات شتى تراوحت بين السياسة والأدب وبعض همومنا الوطنية الناتجة عن الاحتلال، وكانت للمزاح الذي يجيده محمود وسليمان حصّة في اللقاء.

وكان من المتوقع أن ألتقي محمود درويش في العام 1968 في حيفا، ولم يتحقّق اللقاء بسبب صدفة غير متوقعة. التقينا أوّل مرّة في العام

1975 في بيروت، حينما وصلتها مبعداً من سجن "كفار يونا" (بيت
ليد)، وكان محمود آنذاك يشغل موقعاً مسؤولاً في مركز الأبحاث
الفلسطيني وفي مجلة "شؤون فلسطينية".

السبت 12/28

تهبُّ في الخارج رياح شديدة، ومنذ أسابيع لم يهطل المطر، وأنا أشعر بتعب في ساقي اليمنى، بسبب كثرة الجلوس على الكرسي يوم أمس، فقد كتبت سبعة وعشرين صفحة في النص النثري عن القدس. وأنا لا أكرث للتعب ما دمت أكتب عن المدينة المقدسة.

هذا المساء، شاهدت معرضاً للفنانين الشباب أقيم في قاعة محمد صيام، في الطابق الأرضي من مبنى الوزارة. كان المستوى متوسطاً. بعد ذلك، عدت إلى القدس لحضور أمسية فنية ينظمها مسرح سنابل (أحمد أبو سلوم وحسام أبو عيشة). اشتملت الأمسية على فقرات متنوعة بينها مشهد مسرحي كوميدي: "عند المحسوم" من تمثيل عدنان أبو سنينة ومحمود أبو الشيخ.

ذهبت أنا ويحيى يخلف، لزيارة بشير البرغوثي، الأمين العام لحزب الشعب ووزير الصناعة. أمضينا عنده بعض الوقت. تحدثنا في أمور شتى، ثم غادرنا إلى مركز خليل السكاكيني لزيارة محمود درويش. بقينا في مكتب محمود ساعة ونحن نتبادل الحديث حول بعض همومنا الثقافية، وحول مجلة "الكرمل" التي بات عددها الجديد على وشك الصدور.

هذا المساء كنت في بيت الوالد والوالدة. جاءت أمينة لكي تناديني لأن أحد الجيران جاء يسأل عني. وقعت على الأرض ولم تستطع النهوض، خرجت فوجدتها مطروحة على الأرض. ساعدناها على النهوض، وتألمت كثيرًا لهذا المشهد. أمينة تضعف عضلات جسمها ويصيبها الوهن يومًا بعد آخر، ولا نفع في أي دواء.

1997

"وأول مراتب الوفاء أن يفي الإنسان لمن يفي له"
ابن حزم الأندلسي

الأربعاء 1/1

عام جديد يبدأ. بعد سبعة أيام يكون قد مضى عامان على عملي في وزارة الثقافة. وبعد شهرين، أدخل عامي السادس والخمسين. وبعد خمسة أشهر، تكون قد مرّت ثلاثون سنة على هزيمة حزيران التي ما زلنا نعاني منها حتى الآن. وفي مثل هذا اليوم من العام 1990 كنت أعيش في "براغ" للعام الثالث على التوالي. كانت ثورة المخمل قد نجحت في تشيكوسلوفاكيا، وأصبح الكاتب فاتسلاف هافيل رئيسًا للبلاد، بعد اندحار الحزب الشيوعي هناك.

لم تكن أحوالنا نحن العاملين في مجلة "قضايا السلم والاشتراكية" على ما يرام بعد هذه التطوّرات. كنا ننتظر بقلق ما سوف تأتي به الأيام. كنت أقضي ساعات عدّة كل يوم وأنا جالس في مكتبي في مقرّ المجلة، أو في المطعم الخاص بالمجلة، أو في المقهى المجاور لمبنى المجلة ومعني عدد من الزملاء. كنا نتأمل هذه الأوضاع الجديدة التي دهمتنا، وكنا نناقش

أوضاع الاتحاد السوفياتي في ظل البيروسترويكما وما جرى في بلدان
أوروبا الشرقية من ثورات.

هذا الصباح، صباح أول يوم في العام الجديد، ذهبت إلى زيتوننا في
أرضنا التي نسمّيها "السوط". أمضيت النهار في تقليم أشجار الزيتون.
عدت إلى البيت. اغتسلت، وارتحت قليلاً، ثم رحت أقرأ مذكرات
محمود القاضي، وفيما أنا أتابع وصفه لفترة إقامته في ألمانيا، تذكرت
الرحلات التي قمت بها إلى تلك البلاد الجميلة. كانت أياماً لا تنسى.

ذهبت إلى العمل بعد انقطاع دام أربعة أيام. كنت في إجازة من أجل كتابة نص عن القدس، سوف ينشر في العدد الثاني من مجلة "الكرمل". أبدى زكريا محمد رغبته في التخلي عن رئاسة تحرير مجلة "دفاتر ثقافية" للمرة الثالثة. أقنعتته بالتراجع عن قراره في المراتين السابقتين، غير أنني لم أناقشه في الأمر هذه المرة لأنه سيعمل سكرتير تحرير مجلة "الكرمل".

قبل يومين، ذهبت إلى رام الله في المساء، لحضور حفل الاستقبال الذي أقامه محمود درويش في مركز خليل السكاكيني، لمناسبة صدور العدد الأول من "الكرمل" (الأول في الوطن). وجدت هناك عددًا غير قليل من المثقفين والسياسيين. بدا محمود مسرورًا لإعادة إصدار "الكرمل" هنا، وكنا نشاركه السرور نفسه لما في ذلك من دلالات.

هذه الليلة، واصلت الكتابة عن القدس. ثم أعدت قراءة الرسالة التي أرسلها لي شفيق ومحمد من سجن شطّة الإسرائيلي، وفيها تعبير عن أجمل المشاعر لمناسبة العام الجديد. كنت قبل أكثر من عامين ذهبت

لزيارتهم (كانوا يومها ثلاثة، وهم مسجونون بتهمة مقاومة الاحتلال،
ثم أفرج عن رمزي بعد ذلك)، لكن إدارة السجن لم تسمح لي بالزيارة
لأنني كنت سجيناً سابقاً، وهذا ممنوع في قوانينهم!
يهطل المطر في الخارج بعد انقطاع.

وافق الوزير على استقالة زكريا محمد من رئاسة تحرير "دفاتر ثقافية"،
 وأسندها إلي بحيث أصبح مشرفاً عاماً على المجلة ورئيس تحريرها.
 بقيت في مكنتي بعد الدوام. كتبت ردوداً على الرسائل التي وصلتني
 لمناسبة العام الجديد (تأخرت جداً في إرسال الردود). حاولت ترتيب
 الأوراق المكذّسة في جوارير المكتب، فلم أفلح كثيراً.
 دعيت لتناول طعام الفطور لمناسبة شهر رمضان، مع موظفي الوزارة
 في مطعم الأصيل، فاعتذرت عن عدم تلبية الدعوة. واعتذرت عن عدم
 حضور حفل استقبال في بيت مليكة بيراك. واعتذرت عن عدم حضور
 الأمسية الرمضانية في المسرح الوطني بالقدس. (كم أكره المناسبات
 الاجتماعية!)

في مثل هذا المساء من العام الماضي، قضيت آخر ليلة من الحملة
 الانتخابية للمجلس التشريعي في قرية السواخرة الشرقية. عقد اجتماع

انتخابي في النادي حضرته أنا وعدد من المرشّحين، وكان هناك جمهور غير قليل من أهل القرية. ألقينا مداخلات سياسية ثم تفرّقنا. كنت أشعر براحة داخلية لأن الوقت قد حان للخلاص من هذا العبء الذي حمّلني إياه الحزب وبعض الأصدقاء حينما ضغطوا علي للترشّح للمجلس التشريعي.

كنت اليوم في إجازة. عدت إلى قراءة النص الذي كتبت فيه مئتي صفحة بخط يدي حتى الآن، وقد حذفت منه أشياء وأضفت أشياء أخرى. النص عن القدس وعن علاقتي بها.

في مثل هذا اليوم من العام الماضي، كانت نتائج انتخابات المجلس التشريعي قد بدأت في الظهور، ولم أكن من الفائزين. بقيت في البيت طوال ذلك اليوم، وكنت عدت من مقر جريدة "الطلعة" في ساعات الفجر الأولى. نمت عدة ساعات، ثم استيقظت متنغصًا من هذه التجربة التي دُفعت إليها دفعًا، ولن أعود إلى تكرارها.

الطقس بارد، والهدوء نعيم في الخارج، والعممة تنشر رداءها على المكان.

أنا الآن في تونس. وصلتها يوم أمس الأول (الثلاثاء) ضمن وفد برئاسة ياسر عبد ربه. ركبنا طائرة أليتاليا من مطار اللد. وصلنا إلى مطار روما بعد ثلاث ساعات. نمت طوال الوقت في الطائرة، لأنني لم أنم لحظة واحدة في الليلة السابقة.

كنت بحاجة إلى هذه الرحلة لكي أرتاح من ضغط العمل طوال الأشهر الثلاثة الماضية. أنجزت كتابة النص الثري عن القدس بعنوان "ظل آخر للمدينة". أنجزت كذلك كتابة مسرحية للفتيات والفتيان، بعنوان "كله ع الريموت".

بقينا في مطار روما عدّة ساعات في انتظار الطائرة التي ستقلّنا إلى تونس، لحضور المؤتمر العاشر لوزراء الثقافة العرب (كم أحبّ الجلوس في المطارات لمراقبة الناس في ذهابهم وإيابهم!). في الطائرة المغادرة إلى تونس، قرأت قليلاً في كتاب "إنشاد المنادى" لمارتن هيدج، وقد أعجبتني طريقته في تحليل شعر هولدرلن وتراكيل.

أقمت في فندق قصر الشرق الواقع في شارع جان جوريس. في الغرفة
لوحة لامرأة ذات جديلة، تفتح عينيها الواسعتين ببراءة واطزان، وثمة
ستارة عريضة تغطي زجاج النافذة. الستارة ملوّنة بألوان بنية وصفراء
وخضراء، وعليها رسوم تبدو قريبة الشبه من الأشكال الفرعونية.
أعضاء الوفد الفلسطيني هم: يحيى يخلف، واصف منصور، كليمانس
خوري، سمير هلال وأنا. كتبت بيان القدس الذي صدر عن المؤتمر،
واستمعت هذا المساء إلى فقرات منه في محطة تلفاز دبي.
الهدوء مخيم في الخارج. نافذة غرفتي تنفتح على الفناء الداخلي
للفندق، لذلك لا أسمع أصوات السيارات. سأقرأ حتى الواحدة
والنصف ثم أنام.

هذا الصباح، ذهبنا، ياسر عبد ربه، سمير هلال وأنا، في رحلة إلى شمال تونس. مررنا بالقرب من آثار مدينة أوتوك، المدينة الكنعانية التي تأمرت مع الرومان على أخذها مدينة قرطاج، فلما هزم الرومان هذه الأخيرة، ارتدّوا على المدينة الخائنة واحتلوها. مررنا ببلدة غار الملح، وفيها قلعة تركية، وهي واقعة على سفح جبل من جهة، وعلى البحر المتوسط من جهة أخرى.

مررنا بقرية اسمها عوسجة، وهو اسم ظريف. ومررنا ببلدة الرفراف، وهي واقعة على البحر، وأمامها جزيرة صغيرة. كانت الأمواج عالية مزبدة. جلسنا في مقهى وشربنا الشاي. غادرنا الرفراف إلى بلدة راس الجبل، وهي واقعة على أرض منبسطة سهلية، ثم عدنا إلى مدينة تونس، فوصلناها في حوالي الساعة الثانية بعد الظهر. كانت الرحلة مريحة للأعصاب، وقد أعجبت بالطبيعة في شمال تونس، حيث الأرض الخضراء المملوءة بالأشجار والمزروعات.

جاء توفيق فياض، وسلّمني نسخاً من كتبه. ثم ودعنا يحبى يخلف قبل مغادرته إلى القاهرة. وفي المساء ذهبنا إلى غاليري الغورجي للفن التشكيلي. شاهدنا لوحات فنية للغورجي نفسه (لوحات فيها فانتازيا، وهو متأثر بالسريالية إلى حد كبير) ولفنانين آخرين مثل على البلاغي وآخرين.

ذهبنا إلى مطعم الفندق لتناول طعام العشاء. ثمة فرقة تونسية تغني في المطعم بعض الأغاني التونسية العذبة: "يا ويلها اللي جوزها مغيار"، "يا الله يعيش النسا". أكلت الجمبري مع قليل من الرز.

دعينا إلى حفلة غنائية في بيت قديم اشترته الحكومة التونسية من بارون إنكليزي، غنّت فيه المغنية التونسية سونيا مبارك عدة أغنيات من اللون التراثي، ورافقتها فرقة موسيقية تعزف ألحاناً تراثية.

هذه هي ليلتي الأخيرة في تونس. كنت هنا قبل خمس سنوات.

الاشنين 3/4

ذهبت إلى الدوام في المواصلات العامة. وجدت سيارتي في المكان الذي تركتها فيه يوم أمس قريباً من بيت محمد البطراوي (كنت في زيارة لأبي خالد. نسيت المفتاح في السيارة. أغلقت بابها ولم يفتح، وكان علي أن أعود إلى البيت لإحضار المفتاح الاحتياطي. تعرّفت إلى محمد البطراوي في العام 1963 في مكتب أمين شنار رئيس تحرير مجلة "الأفق الجديد"، وكان يعمل آنذاك موظفاً في شركة كهرباء القدس، ويكتب النقد الأدبي في مجلة "الأفق"، وامتدّت بيننا علاقة وطيدة ما زالت قائمة حتى الآن).

ركبت السيارة واتجهت إلى مقر الوزارة. عملت مدة ساعتين، ثم هاتف محمد درويش وذهبت لزيارته في مكتبه. تحدّثنا في أمور شتى. رنّ جرس الهاتف. رفع محمود سماعه الهاتف، ثم ناولني السماعه وكانت سكرتيرة مكتب الوزير تطلبني لحضور اجتماع طارئ.

عدت إلى الوزارة، ودخلت مكتب الوزير، وكان هناك عدد من الزملاء المسؤولين في الوزارة. تحدّث الوزير في عدد من القضايا التي تهم

عمل الوزارة وأنشطتها. أسهمنا بدورنا في تقديم مقترحات وملاحظات حول العمل.

بعد انتهاء الاجتماع وخروج الزملاء، بقيت في مكتب الوزير، وطرحت عليه موضوع المقالة التي أثارت أزمة في هيئة التحرير. بدا الوزير متفهّمًا لموقفي بصفة كوني رئيس تحرير المجلة، خصوصًا حينما أخبرته بأنني قطعت على نفسي وعدًا لكاتب المقالة بنشر مقالته التي ينتقد فيها وزارة الثقافة ويتهمها بالتقصير. قال الوزير: افعل ما تراه مناسبًا.

السبت 3/15

أنا الآن في السادسة والخمسين من عمري، واليوم هو عيد ميلادي. قال الوالد: كنت أشتغل في مدينة غزة حينما ولدت. وقالت الوالدة: عمك عايد هو أول من جاء لكي يبارك لي بولادتك.

ولم أتمكن من مواصلة النوم في الصباح. رنّ جرس الهاتف في الخامسة والنصف. إنه ابني أمين. ردّت عليه أمه. قال إن غادة على وشك الولادة. نقلها ابني خالد في سيارتي إلى مستشفى المقاصد. في الثامنة ولدت غادة طفلها الثاني. أسماه أبوه وأمه: أسامة. فرحت لأنه ولد في الخامس عشر من آذار، اليوم نفسه الذي ولدت فيه. أصبح لي اليوم سبعة أحفاد. لم أحتفل بعيد ميلادي كالعادة. كتبت في المساء مقالة لـ "دفاتر ثقافية".

ثمة مطر في الخارج.

تعبت طوال الأيام الخمسة الماضية. انهمكت في المؤتمر الثقافي الدولي الأول الذي انعقد في جامعة بير زيت بمبادرة من اتحاد الكتاب الفلسطينيين (كنت عضواً في اللجنة التحضيرية للمؤتمر). شارك فيه كتاب أجانب من ست وثلاثين دولة.

دعوت الشاعر النرويجي كنوت أوديجارد وزوجته إلى سهرة في مقهى العجمي في البلدة القديمة برام الله. كنت تعرّفت إلى كنوت حينما شاركت في مهرجان أدبي في بلدة "مولدي" في النرويج صيف العام 1996، ودعاني مع عدد آخر من الكتاب إلى بيته.

في ليلة سابقة، دعوت عدداً من الكتاب القادمين من الأردن ومن وراء الخط الأخضر إلى سهرة في المقهى نفسه. استمعنا إلى الغناء، وغنينا وسهرنا سهرة ممتعة.

الجمعة 3/28

أمضيت سبع ساعات وأنا أقرأ مقالات سياسية وفكرية وثقافية في
صحف ومجلات مكدّسة لدي منذ أشهر.
بعد قليل أقرأ نصف ساعة في التوراة. منذ أشهر وأنا أعيد قراءة
التوراة.

الهدوء يخيم على البيت وفي الخارج. الطقس ليس شديد البرودة.
انتهت موجة البرد التي فوجئنا بها طوال هذا الشهر.
منذ زمن لم أمارس هواية الرسم. ثمة كتب كثيرة لم أقرأها بعد.

الثلاثاء 4/8

هذا الصباح، زارني ساجي سلامة خليل الذي يعمل مديرًا عامًا في هيئة متابعة شؤون اللاجئين (كنا معًا في سجن رام الله في العام 1974، والسجن كان بغرفته وزنازينه ملحقة بمبنى المقاطعة التي يداوم فيها الآن الرئيس ياسر عرفات، على مسافة عشرات الأمتار من مبنى وزارة الثقافة، وحينما انسحب المحتلون الإسرائيليون من مبنى المقاطعة هدموا غرف السجن والزنازين، اعتقادًا منهم بأن ذلك يخفي ما ارتكبه من عسف ضد المعتقلين الفلسطينيين في هذا المكان). تبادلنا حديثًا سريعًا حول تجربتنا السياسية في السنوات السابقة، وتأسينا على الانهيار الذي وقع.

هذا المساء، بقيت ثلاث ساعات في مسرح السراج لمتابعة التدريبات على مسرحيتي الجديدة للفتيات والفتيان: "كله ع الريموت". لم أشعر بارتياح لما أنجز من ديكور وتدريبات حتى الآن. بحثت الأمر مع المخرج وليد عبد السلام، وقال إنه لن يعرض المسرحية إلا بعد اكتمال التدريبات. كنت أتأمل تجربتي في الكتابة للمسرح، وأرى أنها لم تكن

متميزة بأي حال. تلك التجربة ابتدأتها بمسرحية "ديموقراطي بالعافية"
التي حظيت بإقبال جماهيري واسع، مع أنها لم تكن ذات مستوى فني
عميق، لا من حيث الشكل ولا من حيث المضمون.
تهبّ في الخارج رياح شديدة، تحتكُ بنوافذ البيت فيصدر عن ذلك
صوت كالنواح.

في الخامسة بعد الظهر، عدت إلى البيت. استمعت إلى معزوفات موسيقية لبيتهوفن وموزارت كنت اشتريتها من المطار في رحلتي الأخيرة إلى السويد، وهي مسجلة على أشرطة سي. دي، ولم أتمكن من الاستماع إليها إلا هذا المساء. الاستماع إلى الموسيقى الراقية متعة تستحق الانتباه. في الحادية عشرة ليلاً، شاهدت فيلمًا بثته محطة التلفاز المجري: (شاب مراهق يقع في غرام لاعبة سيرك). لا أفهم اللغة، لكن التصوير ممتع.

الاثنين 4/21

عدت إلى الدوام بعد عطلة عيد الأضحى. لا أتحمس لأيام العيد، بسبب ما يرافقها من مجاملات روتينية تتكرر كل عام، ولا أشعر بالبهجة خصوصًا حينما أتذكر وضعنا العام البائس، وانعكاسه على نفوس الناس وأمزجتهم. الفرح غائب في أعيادنا، وهذه ليست حالتي وحدي كما أعتقد.

استثمرت بعض أيام العطلة للقراءة. أكملت قراءة "الميراث" وهي مخطوطة لسحر خليفة استعرتها من تيسير العاروري الذي أبدى إعجابه بها. المخطوطة تتحدث عن واقع الحال في الوطن بعد اتفاقيات أوسلو، وترصد السلبيات التي ترافق التجربة، تجربة السلطة الوطنية الفلسطينية، وهي كثيرة. ثمة صورة سوداء لمجمل الوضع. وفي الرواية لمحات كثيرة ذكية ناقدة ساخرة. والكاتبة تكسر بلاغة اللغة تعبيرًا عن الوضع المفكك الذي نعيشه. وثمة شخصيات مرسومة بطريقة مقنعة، غير أن شخصية زينة القادمة من الولايات المتحدة بقيت أقل إقناعًا حتى النهاية.

جاءت نائلة زياد. قابلتها في مكتب يحيى يخلف. تحدثنا معًا عن جائزة توفيق زياد التي ستقوم الوزارة بمنحها لأفضل دراسة نقدية عن أدب الشاعر الراحل. عدت إلى مكتبي وبقيت فيه حتى المساء.

في الخارج تهبّ ريح باردة، وأضواء البيرة ورام الله تطلّ علي من نوافذ مكتبي في الطابق السادس. أنجزت بعض المعاملات الخاصة بالعمل، ثم قرأت شيئًا في كتاب "التهجير في ذاكرة الطفولة" من تأليف روان وديا الضامن، وهما تلميذتان موهوبتان.

حاولت كتابة مقالة عن إميل حبيبي، لمناسبة الذكرى الأولى لوفاته، لنشرها في ملف خاص عنه، بناء على اقتراح من محمد حمزة غنايم. لكنني لم أتمكن من الكتابة بسبب الإرهاق، ولإحساسي بأن فسحة كافية من الوقت ما زالت أمامي. يزعجني هذا الطبع. لا أكتب إلا في اللحظة الأخيرة وحينما يصبح الوقت على وشك النفاد.

أشعر بشيء من النكد. اعتقدت أن فيلم "عصفور السطح" سيعرض
هذا اليوم في رام الله، غير أنني اكتشفت متأخرًا أنه سيعرض يوم غد.
بعد قليل أغادر مكتبي عائداً إلى البيت.

الاشنين 5/5

دعاني زهير النوباني لتناول طعام الغداء في مطعم شقيرة بالبلدة القديمة في رام الله، على شرف الوفد المغربي القادم للمشاركة في مهرجان القدس الثقافي. كان ثمة مدعوون من الفنانين والمثقفين الفلسطينيين. تناولنا طعام الغداء، وأثناء ذلك غنيّا وضحكنا وتبادلنا الحوارات الطريفة. زهير تلا شعراً لعبد اللطيف عقل من مسرحية "البلاد طلبت أهلها" التي قام زهير بدور البطولة فيها.

الممثلة المغربية لطيفة أحرار التي شاهدها على خشبة المسرح الوطني في القدس، في مسرحية "عتق الروح" بكت أثناء تبادلنا الحديث. ربما تذكّرت أمراً محزناً، ربما تذكّرت علاقة ما، ولم يسألها أحد لماذا تبكي. وزهير النوباني كان معنيّاً بأن يكون ضيوفه في أتم انسجام.

اللقاء مع الممثلات والممثلين المغاربة كان ممتعاً. شعرنا، نحن المحاصرين هنا تحت الاحتلال، بأن مجيء فنانيين عرب إلينا ينعش أرواحنا، ويمدّنا بعزم جديد.

عدت إلى البيت. كتبت كلمة سألقيها بعد غد في الناصرة، في احتفال
لمناسبة مرور عام على وفاة إميل حبيبي.

الاثنين 5/12

ذهبت إلى مركز خليل السكاكيني لحضور حفل افتتاح معرض الفنان التشكيلي خالد حوراني. خالد فنان محبٌ للتجريب. بعده ذهبت إلى مسرح السراج لحضور بروفة مسرحيتي "كله ع الريموت" التي ستعرض غدًا. أشعر بالخوف، لأن التدريبات على المسرحية لم تستكمل. انتهيت من قراءة رواية "أبنية متطايرة" لإدوار الخراط. أعجبتني التأملات التي أجراها الكاتب في روايته، خصوصًا ما يتعلق بالعذابات الداخلية للإنسان وكيفية التعامل معها، وما يتعلق بالموت وعدم الخوف منه.

أعدت قراءة "حيطان عالية" لإدوار الخراط التي صدرت أواخر الخمسينيات، ووجدتها متقدّمة على زمانها لابتعادها عن النقل الفوتوغرافي للواقع، وذهابها المتقن إلى داخل النفس البشرية. وكنت أعدت قراءة روايته "راما والثنين"، حيث لم أتمكن من إتمامها لدى قراءتي لها أول مرة، ثم أعجبت بها كثيرًا في المرّة الثانية (ربما تعلق الأمر

بمزاجي أثناء القراءة، وبذائقتي الأدبية ومدى تطورها). أعجبتني قدرته
على الوصف الحسي للعلاقة بين الرجل والمرأة، بلغة جميلة طافحة
بالرؤى والإيحاءات والدلالات.

ذهبت أنا وزوجتي إلى مستشفى هداسا الشرقية للاطمئنان على محمود، الذي أجريت له هذا الصباح عملية جراحية لإنزال خصيته التي لم تكن في مكانها الصحيح (كأنه تنقصه مشاكل صحية!). كان الحفيد ابن السنوات الخمس متضايقاً من وضعه في سرير مرتفع، ويبدو أنه كان يشعر بالخوف من شيء لا يدركه. كانت الدموع تتكاثف في عينيه بين الحين والآخر، يهّم بالبكاء ثم يتراجع عن ذلك. أشفقت عليه وبقيت أنتظر في المستشفى إلى أن انتهت العملية بنجاح، ثم خرجت متجهاً في سيارتي إلى رام الله.

يوم الخميس الماضي، كنت أقود سيارتي في الصباح وأستمع في الوقت نفسه إلى صوت فلسطين، ثم سمعت الخبر المشؤوم عن وفاة سعد الله ونوس، فشعرت بالحزن على هذا المبدع الذي أثرى مسيرة المسرح العربي بنصوصه المتميزة (مات وعمره ست وخمسون سنة، وقد ولد في السنة نفسها التي ولدت فيها).

لا أفكر في الموت إلا على نحو عابر. قبل شهر كدت أن أموت في
حادث سير. لكنني نجوت في اللحظة الأخيرة.
لا يعجبني وضع التشتت الذي أعيشه، فأنا دائم الانشغال في ندوات
وأُمسيات ثقافية، وفي مناسبات اجتماعية، ما يقلل من فرصتي في الكتابة
والقراءة. سأحاول ضبط الأمور لاستثمار الوقت على نحو أفضل.

أعادي يوم أمس إلى تاريخ 27 / 5 / 1970، وهو اليوم الذي غادرت فيه سجن الدامون الواقع على جبل الكرمل بالقرب من حيفا بعد اعتقال إداري دام عشرة أشهر. حينما وقفت بباب السجن، حرًا طليقًا، شعرت بمتعة لا مثيل لها. كان الأهل في انتظاري، ثم عدت معهم إلى البيت، وعدت إلى مواصلة حياتي في القدس إلى أن اعتقلت مرة أخرى بعد أربع سنوات.

اشتريت هذا اليوم مجموعة من الكتب، بينها كتاب لنعوم تشومسكي. وكلما اشتريت كتبًا جديدة شعرت بالأسى، لأنني لا أدري متى سأقرأ هذه الكتب. بدأت أضيق ذرعًا بالوظيفة التي تلتهم كثيرًا من وقتي.

ذهبت هذا المساء إلى المسرح الوطني في القدس لمشاهدة مسرحية "رابطة الدم" من إخراج مازن غطاس، وتمثيل مكرم خوري وغسان عباس. النص لمؤلف جنوب إفريقي، وقد ترجمه إلى العربية الكاتب رياض بيدس. ديكور المسرحية مناسب وفيه إشارات رمزية، والتمثيل

جيد، والموسيقى لعبت دورًا في إبراز المشاعر المتضاربة، وكذلك الإضاءة. والمسرحية تتحدث عن أخوين أحدهما أبيض والآخر أسود. ثمة مفارقات في وضعهما، لكنهما مضطران إلى البقاء معًا. العرض ميال إلى التجريب، وفيه اعتماد على الترميز الشفاف.

ما زلت أشعر بالإرهاق بسبب رحلة يوم أمس إلى عكا والناصرة،
التي استمرت ثلاث عشرة ساعة.

لأوّل مرة أزور عكا. مشيت في الحي القديم، حيث السوق التي تشبه
أسواق القدس. لكنني لم أذهب إلى جامع الجزّار لضيق الوقت. رأيت
البحر الذي لا تخشى عكا هديره، وعلى الشاطئ ثمة بيوت قديمة حوّلت
إلى مطاعم، وفي البعيد تظهر حيفا بكل رصانتها وجمالها.

شاركت في ندوة نظّمها مؤسسة الأسوار حول المؤتمر الثقافي الوطني
العام الذي سوف تعقده وزارة الثقافة الفلسطينية الصيف القادم. شارك
في الندوة أيضًا: محمد علي طه، أنطوان شلحت، يعقوب حجازي، سالم
جبران، وعبد عابدي. بعض المتحدثين انتقدوا قيام السلطة الفلسطينية
باعتقال أعداد من المعلمين أثناء الإضراب، وكذلك اعتقال الصحافي
داود كّتاب، بسبب بثه إحدى جلسات المجلس التشريعي التي جرت
فيها انتقادات للتسيّب والتبذير والفساد. أبدت موافقتي على الانتقادات

وقلت إن من حق المعارضة الفلسطينية أن تعبر عن نفسها، وأن تنتقد ما يقع من أخطاء ترتكبها بعض أجهزة السلطة.

بعد الندوة، ذهبت إلى الناصرة لحضور أوبريت "قطر الندى" من شعر سميح القاسم وإخراج نبيل عازر. كانت القاعة الفخمة في الناصرة العليا (اليهودية) غاصة بالمواطنين الفلسطينيين النصراويين، وكان الأوبريت يتحدث بأسلوب الرمز الشفاف، وبالرقصات التعبيرية، والموسيقى والغناء عن المأساة الفلسطينية. وقد حظي بتجاوب الجمهور.

في مثل هذا اليوم، قبل ثلاثين عامًا، وقعت الهزيمة. أجلس في البيت وأتذكر أننا كنا في مثل هذا اليوم قد غادرنا بيتنا، كما فعلنا في العام 1948، والتجأنا إلى بيوت أقاربنا التي تقع في الجزء الشرقي من قرية السواخرة. أمضينا أيامًا قاسية، ثم استمر مسلسل الهزيمة حتى يومنا هذا.

هذا اليوم، هاتفنا الناقد محمود أمين العالم. كان مريضًا في بيته في القاهرة. تمنيت له الشفاء العاجل، ثم تحدثنا عن الجوائز التي سوف تمنحها الوزارة لبعض المبدعين الفلسطينيين (هو عضو في اللجنة التي تقرأ الآن مجموعة من النصوص الروائية والقصصية والنقدية). أخبرني أنه سوف ينتهي قريبًا من قراءة النصوص.

يوم أمس، كنت في إجازة. اصطحبت أمينة إلى مستشفى هداسا في عين كارم لإجراء فحص لها، له علاقة بمرض ضمور العضلات. وعدها الأطباء بأنهم سيدققون في المعلومات التي لديهم لعلهم يستطيعون تحديد

المرض بدقة، ولمعرفة ما إذا كان يمكن وصف بعض الأدوية التي تعيق
استفحال المرض. كنت متألمًا لما يجري لأمنية وهي بعدُ شابة في عمر
الورود.

خلال الأسبوع الماضي، شاهدت عددًا من الأفلام العربية المدعومة من فرنسا: "السيدة" (تونس). "سلامًا يا ابن العم" لـ (مرزاق علواش - الجزائر). "مارسيدس" لـ (يسري نصر الله - مصر). "كان يا ما كان" لـ (جوسلين صعب - بيروت). "الجيل" (حنا إلياس - الناصرة)، علاوة على فيلم وثائقي من بيروت لرندة الشهبال، وفيلم وثائقي فرنسي مهم عن حياة الحشرات "ميكرو كوزموس".

أعجبني فيلم علواش لما فيه من سلاسة وتبعية لحياة المهاجرين العرب في باريس. أعجبني كذلك أسلوب المخرج يسري نصر الله، حيث هناك لمحات من أسلوب يوسف شاهين: سرد الحكاية المركبة متناثرة الأجزاء، وكسر التتابع الرتيب في عملية السرد.

وقبل أيام زرت بشير البرغوثي في بيته، بعد أن عاد من عمان التي قضى فيها عدة أسابيع للعلاج. حالته الآن مستقرة، لكنه ما زال يعاني من آثار الشلل الذي أصاب خده الأيسر ويده اليسرى وساقه.

الطقس في الخارج لطيف، وشمّة رياح صيفية تهب دون توقّف.

هاتفنت محمود درويش وهنأتة لمناسبة حصوله على أعلى وسام فرنسي أثناء مشاركته في الربيع الفلسطيني في فرنسا. شكرني على التهنتة، ثم سألني عن الكتاب الذي أكتبه عن القدس. أخبرته بأنني ما زلت أشتغل عليه، ثم طلب مني أن أواصل الكتابة لمجلة "الكرمل"، فوعدته خيرًا. أمضيت فترة ما بعد الدوام في مكتبي بالوزارة، ولم أعادره إلى البيت إلا في الثامنة مساء. أعددت بعض المواد الأدبية للعدد (11) من "دفاتر ثقافية". ثم قرأت قصصًا ومقالات في بعض المجالات الثقافية القادمة من مصر.

الطقس حارّ هذه الليلة. ثمة ريح خفيفة ساخنة في الخارج.

انشغلت بالرسم. أنجزت رسوماً بالألوان الزيتية. محمود ما زال غير قادر على النطق السليم، غير أنه يتحسن ببطء. وقف بالقرب مني وأنا أمارس الرسم. قال بلغة غير واضحة إنه يريد أن يتفرج، فأبدت موافقة على ذلك. وحينما توقفت عن الرسم وبدأت الكتابة على الكمبيوتر، قال إنه يريد أن يتفرج، فسمحت له بذلك، غير أن رغبته في المشاهدة استبدت به فتسبب لي بإزعاج غير قليل. طلبت منه أن يغادر الغرفة. رفض في بداية الأمر، ثم غادرني حينما لاحظ أنني مستاء منه. أغلقت باب الغرفة وانهمكت في الكتابة.

في المساء، صعدت إلى سطح البيت. تأملت القمر وهو بدر مكتمل. تأملت القدس وسورها الذي يظهر بوضوح تحت الأضواء المسلطة عليه. خطرت ببالي أطماع الإسرائيليين في المدينة، فشعرت بالأسى.

الجمعة 6/27

لم أغادر البيت. قرأت عدة ساعات. كان المفروض أن أواصل الكتابة في "ظل آخر للمدينة". غير أنني انشغلت في متابعة عرض موسيقي راقص بثه التلفاز. العرض المتقن من أداء فرقة أجنبية.

قبل يومين، ذهبت ضمن وفد من حزب الشعب لحضور افتتاح المؤتمر الثالث والعشرين للحزب الشيوعي الإسرائيلي في حيفا. أعضاء الوفد هم: نعيم الأشهب، فؤاد رزق، حنا عميرة، غسان الخطيب، طاهر الشلودي وأنا. وكان ثمة وفود من تنظيمات فلسطينية أخرى. تمّ الترحيب بنا، وكانت القاعة غاصة بأعضاء المؤتمر والضيوف. وصلنا قبل المساء ولم تُتَحَ لنا فرصة للتجوال في حيفا.

قرأت "مجتمع يثرب" لخليل عبد الكريم (كاتب مصري من حزب التجمّع وهو شيخ مستنير)، يُظهر فيه، استنادًا إلى مقتطفات ووقائع من التراث، كيف أن السلوك البشري لا يستجيب في كل شيء لتعاليم الدين

الجديد، ويورد قصصًا وأحداثًا وقعت في زمن الرسول والخلفاء فيها مخالفة صريحة لتعاليم الدين، يقوم بها أشخاص داخلون في دين الإسلام.

غادرت الوزارة بعد انتهاء الدوام واتجهت إلى القدس. كنت اتفقت مع جمال غوشة على الذهاب معاً إلى اعتصام المثقفين في جبل أبو غنيم. ذهبنا إلى الاعتصام، وكان معنا الفنان مصطفى الكرد والرسام سليمان منصور. بقينا في الاعتصام حوالي ساعة ونصف ساعة، وكان في خيمة الاعتصام حوالي مئة شخص أو أكثر قليلاً. ألقى كلمات وقصائد. شعرت بالاستياء من التهالك الذي يبيده بعض الأشخاص على إلقاء كلمات.

معنويات الناس هذه الأيام هابطة بسبب شدة القمع الذي يمارسه علينا المحتلون، وبسبب الإحباط وسوء الأحوال المعيشية، وضعف الثقة في السلطة الوطنية الفلسطينية جرّاء بعض الممارسات السلبية.

الاثنين 7/14

في الصباح، أوصلت أمينة إلى مستشفى المقاصد في القدس، حيث لم يتمكن أمين من الذهاب بها إلى هناك. أمينة تحب عملها التطوعي هذا وتجد متعة فيه. ودعتها واتجهت إلى مقر الوزارة في رام الله. صرّفت بعض القضايا الملحة. زرت زملاء العمل في مكاتبهم، ومكثت هناك وقتًا تبادلنا أثناءه الملاحظات حول العمل. وبين الحين والآخر، كان ثمة مزاح وضحك وتعليقات على موضوعات خارج السياق.

في المساء، ذهبنا للسلام على شفيع السلحوت لمناسبة خروجه من السجن الإسرائيلي. حدثنا شفيع عن أحوال المعتقلات والسجون وعن الظروف السيئة فيها. عاد الشباب إلى البيت في السيارة، وعدت أنا ماشيًا على قدمي لممارسة رياضة المشي.

مررت في الطريق بمكان اسمه "صف القلاع"، وهو المكان الذي كانت تقام فيه مباريات كرة القدم قبل خمس وأربعين سنة. الآن تنهض فوق المكان عمارة لم تكتمل بعد. مشيت في الطريق التي تحاذي أحد

الكروم. كان الكرم في زمن سابق عامراً بأشجار التين والعنب، وكانت فتاة جميلة تظهر هنا بين الأشجار. الآن لا أشجار تين، ولا عنب، ولا فتاة. لم يعد الكرم كرمًا. ثمة قطعة أرض بور. الاهتمام بالزراعة يتراجع إلى الوراء. منذ خمس وعشرين سنة لم أظأ هذه الطريق. شعرت بمتعة التذكّر وأنا أجتازها.

الخميس 7/17

في طريق عودتنا، أنا وخالد، من القدس إلى البيت، ذهبنا إلى بيت أمين الذي استأجره في حي الجعاييص، لكي نخفف من وطأة الحرب الأهلية التي نشبت فجأة بين نساء العائلة. كان الحفيد بشار فرحاً لقدمي. احتضنته وتحديث معه.

قلنا كلاماً كثيراً، وبدائي أن الحرب الأهلية توشك على الانتهاء.

في الصباح، ذهبت إلى رام الله. الوضع العام مثير للاستياء. اجتزت حاجز الجيش مستعيناً بالبطاقة الصحافية الإسرائيلية (حصلت عليها بسبب رئاستي لتحرير صحيفة "الطلعة" المقدسية). شعرت بالخرج لأن الجنود سمحوا لي بالمرور فيما الناس ينتظرون في سياراتهم ثم يضطرون إلى العودة من حيث أتوا، أو ربما يبحثون عن طرق ترابية فرعية للذهاب إلى رام الله.

في المساء، ذهبت إلى مسرح عشتار لمشاهدة مسرحية ألمانية قدمها ممثل وممثلة بأسلوب التمثيل الصامت (وهو غير البانتومايم) عن مسرحية لفرانتز كافكا اسمها "تحول". مسرحية جيدة عن موظف مسحوق تحت ضغط البيروقراطية.

في الصباح، فكّ المحتلون الطوق المضروب على رام الله والخليل، وبهذا يصبح عدد المدن الفلسطينية الخارجة من الحصار أربع مدن. بيت لحم ما زالت تحت الحصار.

عدت إلى البيت بعد الدوام مباشرة. في طريقي إلى البيت مررت بالبريد. بحثت في صندوق بريدي عن جواب من وزارة الداخلية الإسرائيلية بخصوص وثيقة السفر الخاصة بي، فلم أجد شيئاً.

في المساء، قرأت موضوعات عدة في مجلات ثقافية مصرية. أعجبتني فكرة لكاتب يرى أن أوضاع العالم الثالث غير مرشحة للاستقرار أبداً. يبدو أن هذا الأمر صحيح، وفيه مصلحة للقوى الإمبريالية المسيطرة. لذلك، علينا نحن شعوب العالم الثالث أن نوطن أنفسنا على حقيقة أن لا استقرار ما دام هنالك استغلال طبقي وقومي، وعلينا أن نتعايش مع عدم الاستقرار على نحو ما لكي نواصل حياتنا، ونستعدّ لتغيير الأوضاع السائدة ولو بعد حين.

في الصباح، ذهبت إلى نابلس صحبة عدد من الزملاء في الوزارة، لحضور اللقاء الذي سيتم بين الرئيس ياسر عرفات والمثقفين. لم يكن اللقاء مثمراً، إذ اقتصر على أحاديث مبتسرة عن الوضع السياسي الراهن، وعن تعنت نتنياهو. أعجبتني لهجة عرفات الغاضبة وهو يتحدث عن نتنياهو الذي لا يعرف الشعب الفلسطيني، وأعجبتني وصفه لإسرائيل بأنها ميكرونيزيا العظمى (حتى هذه اللحظة لا أعرف أين تقع هذه الميكرونيزيا التي ساندت إسرائيل في الجمعية العمومية، فلم تصوّت ضد الاستيطان).

لم تعجبني أسئلة بعض المثقفين ومداخلاتهم التي تراوحت بين السذاجة والنفاق.

في المساء، شاهدت على شاشة التلفاز فيلم "بين القصرين" عن رواية نجيب محفوظ بالاسم نفسه. سالت الدموع من عيني وأنا أستمع إلى نشيد: "بلادي بلادي بلادي.. لك حبي وفؤادي"، وكذلك حينما

استشهد فهمي عبد الجواد على أيدي الجنود الإنكليز. تذكّرت تلك الليلة من العام 1962 حينما كنت مقيمًا في بيت بقرية خربثا بني حارث الواقعة في ريف رام الله، أيام كنت مدرّسًا فيها، حيث انتهيت تلك الليلة من قراءة بين "القصرين"، وكتبت شيئًا عنها في مفكرة صغيرة كانت بحوزتي، ولم أعد أدري أين ذهبت تلك المفكرة بعد ذلك.

الأربعاء 9/3

في الصباح، عدت إلى الدوام بعد إجازة دامت أسبوعًا. التقيت ياسر عبد ربه. تباحثنا معًا في موضوع جوائز فلسطين في الآداب والفنون والعلوم. اقترحت عليه أن أدعوه هو ومحمود درويش (جاء محمود مساء أمس من عمان إلى رام الله) على غداء عمل نتحدث خلاله عن الجوائز. أبدى موافقته على الاقتراح. هاتف محمود، فأبدى هو الآخر موافقته على الاقتراح.

في الثانية والنصف ظهرًا، ذهبنا إلى مطعم شقيرة في رام الله القديمة. تناولنا طعام الغداء هناك، واتفقنا على تشكيل لجنة للجوائز من أحد عشر شخصًا، بحيث يكون محمود درويش رئيسًا للجنة (محمود اقترح أن يكون الدكتور إحسان عباس رئيسًا للجنة ولم نوافق لأن الدكتور إحسان مريض ولن يستطيع القيام بهذا العبء).

أثناء الغداء تحدثنا في موضوعات متنوعة، لكن دون تركيز زائد (مجرد دردشات) حول الغناء العربي (كان المدياع ييث أغنية جميلة لكارم

محمود)، وحول قصيدة النشر. تحدثت عن كتاب "مجتمع يثرب" لخليل
عبد الكريم، فأبدى محمود رغبة في قراءته، فوعدت بإحضاره له.
في المساء، هاتفنا الأعضاء المقترحين للجنة، فوافقوا على المشاركة
فيها.

السبت 9/6

لم أتمكّن من الوصول إلى رام الله. أعادني الجنود المرابطون بالقرب من مدخل قرية كفر عقب، من حيث أتيت. استعنت بالبطاقة الصحافية الإسرائيلية مثلما فعلت في الحصار السابق، غير أن الجنود رفضوا الموافقة على دخولي إلى رام الله. ابتعدت وشتمت بصوت مرتفع: "... أمّ إسرائيل. ثم اتجهت نحو طريق ترابي فرعي. أخبرني أشخاص عائدون في سياراتهم إلى القدس، بأن هذا الطريق الفرعي مغلق كذلك، فلم أجازف بالدخول فيه.

عدت إلى البيت. تابعت على شاشة التلفاز جنازة الأميرة ديانا سبنسر. إنها جنازة مهيبة لامرأة شابة جميلة، لكنها محزنة.

في الصباح، أوصلت أمينة في إلى مستشفى المقاصد، ثم انطلقت إلى رام الله (أمين لديه عطلة في هذا اليوم، ولهذا أوصلتها أنا). انهمكت حالما وصلت المكتب في تصريح بعض القضايا. جاء محمد علي طه إلى الوزارة قادمًا من كابول/ حيفا. دعوته لتناول طعام الغداء هو ويحيى يخلف. ذهبنا إلى مطعم زعرور.

عدت إلى مكتبي في الوزارة وبقيت فيه حتى المساء، ثم اتجهت إلى المسرح الوطني الفلسطيني في القدس لحضور ندوة حول كتاب سهير أبو عقصة "برتقال المدى الأسود". كان عدد الحضور قليلاً، وهذا أمر مؤسف، ويشير إلى تراجع النشاط الثقافي في القدس.

قبل يومين، ذهبت إلى الدوام متأخرًا بعض الشيء، فقد نهضت من النوم وأنا ما زلت مرهقًا بسبب العودة من السفر إلى باريس. قابلت الوزير وتحدثنا عن الجوائز. هاتفتم محمود درويش وتحدثنا كذلك عن الجوائز. دعاني الوزير إلى اجتماع يحضره محمود درويش ويحيى يخلف.

منذ أن قمنا بالإعلان عن الفائزين بجوائز فلسطين ثارت زوابع لم تهدأ بعد. اتهمنا بعض المثقفين بالتلاعب بالجوائز، واتهمنا آخرون بأننا سلقنا الأمور سلقاً. نالني من كل ذلك بعض الأذى، وخسرت بعض العلاقات. أبدى محمود درويش عدم ارتياحه لهذه الاتهامات. لا أنكر أننا وقعنا في بعض الأخطاء، ولكن المبالغة في تصوير هذه الأخطاء أمر غير معقول.

هاتفَت الدكتور إحسان عباس في عَمَّان. اعتذر عن عدم تمكنه من القدوم لتسلم الجائزة بسبب حالته الصحية. هاتفَت فرانسوا أبو سالم في باريس، وأخبرني أنه قادم إلى الوطن يوم الخميس القادم، وسوف يبقى هنا إلى حين موعد الاحتفال، لاستلام جائزة المسرح.

الخميس 11/13

ما زلنا نحضّر لاحتفال الجوائز. تم تأجيل الموعد لأن الرئيس عرفات سيقابل مادلين أولبرايت وزيرة الخارجية الأمريكية في الموعد المحدّد لتسليم الجوائز (15/11/1997).

جرّ هذا التأجيل عليّ مشكلة، فقد كنت سأذهب إلى السويد على رأس وفد من العاملين في الوسط الثقافي بدعوة من الحكومة السويدية. بدا الوزير غير راغب في سفري، خصوصاً وأن محمود درويش لن يحضر الاحتفال بسبب موعد في لندن. وكان لا بدّ من تأجيل موعد السفر. هاتفت إسماعيل شموط (الفائز بالجائزة التقديرية في الفنون). أبدى تذمّره من تأجيل موعد الاحتفال، وأبدى ميلاً إلى عدم الحضور من عمان. قال: كنت أعدّ نفسي للقدوم إليكم اليوم!

قرأت مقالة في الأيام لكاتب ينتقد لجنة الجوائز لأنها لم تخصّص جائزة للصحافة! (علماً بأن حسن خضر فاز بجائزة المقالة الصحافية). زميل لي في الوزارة لا يكلمني بسبب الجوائز. يعتقد بأنني عملت ضدّه شخصياً!

مع أن هذا لم يحدث. يوم أمس كتب الشاعر عز الدين المناصرة في الأيام
مقالة جيدة حول الجوائز. قال إن الذين يستحقون الجوائز كثيرون، ولا
يمكن منحها لهم مرة واحدة في عام واحد.

الجمعة 11/21

بقيت اليوم في البيت حتى الساعة الرابعة بعد الظهر. كنت اشتريت لمحمود دفترين لتعلم الرسم من معرض الكتاب الذي افتتح يوم أمس في بيت لحم (رئيس لجنة المعرض يحيى يخلف وأنا نائب الرئيس). ساعدت الحفيد مدة نصف ساعة على الرسم، ثم انهمكت في قراءة مواد العدد (13) من "دفاتر ثقافية" الذي تأخر موعد صدوره بسبب سوء الأوضاع المالية للوزارة.

غادرت البيت إلى بيت لحم. حضرت ندوة الشعر التي أقيمت على هامش معرض الكتاب، ثم قمنا، يحيى يخلف وأنا، بجولة في أرجاء المعرض. الناشرون يبيعون الكتب بسعر مرتفع وليس ثمة تنزيلات على الأسعار، بل هنالك رفع متعمد للأسعار (اليوم اشتريت 25 كتابًا بـ 400 شيكل).

أشعر بالإرهاق بسبب انشغالي في التفاصيل الخاصة بالجوائز وبمعرض الكتاب.

الوالد مريض منذ يومين. إنه يخشى الموت. زرتة بعد عودتي من بيت
لحم، وتسامرت معه ومع الوالدة بعض الوقت.

1998

"أحياناً أقول لي أحياناً
الكلام أفضل من الصمت"
أراغون

الجمعة 1/2

بعد العودة من السويد، تسببت برودة مكثبي بإصابتي بالرشح. ثمة هواء بارد يتسرّب من نافذتي المكتب لأنها ليستا محكمتي الإغلاق. ذهبت إلى طبيببة في العيادات الصحية، وصفت لي دواء تناولته ولم أشعر إلا بتحسّن طفيف، ثم تجدد الرشح على نحو أصعب، وكان علي في اليوم التالي أن أسافر إلى عمّان (أنا وعزت الغزاوي) ومن ثم إلى دمشق لحضور المؤتمر العشرين للأدباء والكتاب العرب، ممثلين للاتحاد العام للكتاب والصحافيين الفلسطينيين، وانضم إلينا هناك يحيى يخلف رئيس الوفد. أمضيت أيامًا قاسية في دمشق، حيث أدّى الإرهاق، وكثرة الاجتماعات، واضطراري إلى استنشاق كمّيات من دخان المجتمعين إلى تفاقم الرشح، حتى أنني لم أتمكن من النوم في بعض الليالي. نزلنا في فندق ميرديان على كتف شارع دمشق - بيروت. غرفة الفندق جيدة وفيها تدفئة وجهاز تلفاز (أمضيت أوقاتًا طويلة وأنا أتفرج

على التلفاز في فترة المرض، ولم أفكر بقراءة شيء وذلك لإعطاء جسمي بعض الراحة).

بعد مداوالات كثيرة صوّت المؤتمر على استمرار تعليق عضوية فلسطين في الاتحاد العام إلى حين عقد مؤتمر لاتحادنا (تأخر عقد المؤتمر بسبب ظروف قسرية، وبسبب الترهّل الذي أصاب منظّماتنا الشعبية بعد أوسلو). غضبنا من هذا القرار الذي لم نكن نتوقّعه، لأنّه ينطوي على خلفيات سياسية، ثم انسحبنا من المؤتمر قبل انتهاء أعماله، وظهرت ردود فعل غاضبة في أماكن كثيرة ضد قرار التعليق.

قبل قليل، انتهت من كتابة تعديلات على اللائحة الداخلية لجوائز فلسطين. غداً، سنجتمع، ياسر عبد ربه، محمود درويش وأنا، لإجراء مداولة أولية حول اللائحة وجوائز العام القادم.

السبت 1/3

ما زلت أعاني من رشح حاد. حاولت التقليل من الكلام، لأنه يتسبب لي بموجات لا تنتهي من السعال. اتصلت بمكتب الوزير، ولم يكن هناك، فقد ذهب إلى أريحا حيث يوجد الرئيس ياسر عرفات. هاتفت محمود درويش بخصوص اجتماعنا في مكتبه. أخبرته أن الوزير نسي الموعد كما يبدو. اتفقنا على الاجتماع في اليوم التالي. بعد انتهاء الدوام، عدت إلى البيت. زرت الوالد. ما زالت حالته الصحية غير مطمئنة، فهو يعاني من ضعف عام، والوالدة لا تتركه لحظة واحدة.

في المساء، شاهدت مع بقية أفراد الأسرة شريط حفل توزيع جوائز فلسطين في جامعة النجاح. فرحت للحفيد محمود الذي تابع الحفل، متتظراً أن يراني وأنا أتحدث في الحفل. كان يصفق كلما رأى الجمهور يصفق، وظلّ كذلك إلى ما قبل نهاية الحفل بقليل.

الأب 1/4

قابلت ياسر عبد ربه. أخبرني أنه لم ينس اجتماع يوم أمس في مكتب محمود درويش، لكنه كان مضطراً إلى الذهاب إلى أريحا في مهمة عمل مع الرئيس عرفات. قال لي إنه اتفق مع محمود على الاجتماع في الثانية عشرة من ظهر اليوم.

جاء عبد المجيد حمدان في الحادية عشرة صباحاً. أخبرني أن اجتماع اللجنة المركزية الأخير الذي لم أحضره بسبب سفري إلى دمشق، اختار لجنة تحضيرية لمؤتمر الحزب القادم، وقد تم اختيار اسمي لعضوية اللجنة. وافقت على ذلك، وتحدثنا بعض الوقت حول أخبار الحزب وأوضاعه الصعبة.

ذهبت إلى مكتب محمود درويش. لم يكن الوزير قد وصل بعد. تحدثت مع محمود حول موضوع القراءة. أخبرني بأنه يقرأ كتاباً واحداً كل يومين. لكنه قال إنه ينسى بعض ما يقرأ، وخصوصاً الروايات. أخبرته

بأنني أنسى كثيراً مما أقرأ. سألته فيما إذا كان يلخص ما يقرأ. قال إنه لا يفعل ذلك، ولكنه يضع إشارات على ما يراه مهماً مما يقرأه.

وصل الوزير. وزّعت اللائحة الداخلية المعدلة للجوائز، واتفقنا على أن نناقشها في اجتماع آخر بعد أن يقرأها الوزير ومحمود. تشاورنا حول بعض أسماء لجنة التحكيم القادمة، ثم أنهينا الاجتماع في الواحدة والرابع، وعدت إلى البيت.

ذهبت إلى مكتب محمود درويش. كان الوزير قد سبقني إلى هناك. قرأنا اللائحة الداخلية بندًا بندًا. كان محمود يقرأ، يتوقف. نجري نقاشًا. نختلف، نتفق، نتحاور، ثم نعتمد صيغة مقنعة للجميع في النهاية. محمود درويش بالغ التهذيب، ميّال إلى الدعابة والسخرية المحببتين، ولا يميل إلى استغابة الآخرين من الكتاب والمثقفين، لكنه يتحدث بأسلوب حادّ يصل حدّ الشتيمة ضدّ أي مثقف يطرح مواقف منفرة. عندما انتهينا من قراءة اللائحة الداخلية وتديقها كانت الساعة تقارب الثانية بعد الظهر، اقترح الوزير على محمود أن يذهب معه إلى الغداء في بيته، فوافق. اقترح علي أن أذهب معهم، فاعتذرت. كنت مرهقًا، وما زلت أعاني من الرشح الذي طالت مدّته حتى تجاوزت الشهر.

انهمكت في تقليم شجرات العنب المحيطة ببيتنا (أربع شجرات).
قلمتها وشعرت بارتياح لأنني أنجزت عملاً يدوياً لا يحتاج إلى تفكير
كثير، لكن الغبار المتساقط على أنفي من أغصان الشجر، جعلني عرضة
لمزيد من السعال طوال هذا المساء، فاحتملت ذلك.

بعد تقليم العنب، ذهبت إلى بيت الوالد والوالدة. الوالد يبدو مرهقاً
هذه الأيام، وهو يشكو من دوخة ومن هبوط عام. صحته ليست على ما
يرام بعد الوعكة التي أصابته قبل أشهر.

سأقرأ في رواية "إله الأشياء الصغيرة" للروائية الهندية أرنداتي روي
(باللغة الإنكليزية). لدى هذه الكاتبة الشابة أسلوب جذاب في السرد
وفي التقاط التفاصيل.

الأب 3/1

انتهيت من قراءة ديوان محمود درويش "لماذا تركت الحصان وحيداً"، وهذه هي المرة الرابعة التي أقرأ فيها هذا الديوان الجميل (كان محمود أهداني نسخة من الديوان حينما التقينا في عمان. التقينا في العام 1995، قبل عودة محمود إلى الوطن. وكان الهدف من اللقاء التشاور حول إعادة إصدار مجلة "الكرمل" في رام الله). ورغم قراءتي للديوان مرّات عدة، فثمة صور شعرية ورموز وردت في الديوان، لم أستطع حتى الآن استيعابها تماماً، غير أن صوراً أخرى وطرائق في الكتابة الشعرية يتبعها محمود، أصبحت أكثر وضوحاً لدي. مثلاً، صرت أكثر معرفة بأسلوبه في تركيب الصور والمجازات، وفي تحويل الفكرة إلى صورة حسية، وصرت أكثر قدرة على ملاحظة موسيقى القصيدة لديه وإيقاعاتها. هذا الديوان يفيض عذوبة وقدرة على تطويع اللغة وعلى الغوص في ثنايا الذات.

ذهبت إلى العرس. دخلت وأنا متهيّب لأنني لم أسمع صوت الغناء. كان العرس صامتاً، ليس ثمة غناء ولا زغاريد. قبل يومين ، قام جنود الاحتلال عند حاجز ترقوميا بقتل ثلاثة عمال، كانوا عائدین إلى بيوتهم بسيارة أجرة. شارك آلاف المواطنين في الجنازة التي لم تشهد بلدة دورا مثيلاً لها.

على شاشة التلفاز، كانت والدة أحد الشهداء تحمل صورته وهو يقبض على آله الموسيقية (العود). الجنود القتلة الذين اغتالوا اللحن الوديع، غادروا السجن هذا الصباح، قال أحد قادة الجيش الإسرائيلي: لا داعي للاستمرار في اعتقالهم لأنهم كانوا ينفّذون التعليمات. شهود عيان أكّدوا أن ثمة كذبة كبيرة، فالعمال العائدون إلى بيوتهم لم يفكروا أبداً في اجتياح حاجز الجنود، والجندي الذي ابتداء بإطلاق النار قبل زملائه الآخرين كان معبأً بفكرة القتل، وإلا لماذا كان يرتدي بلوزة مكتوباً عليها بأحرف بارزة: وجدنا لكى نقتل؟

بعض محطات التلفزة التقطت صورًا لزوجات العمال الثلاثة ولأطفالهم. أحد هؤلاء طفل عمره ثمانية أيام، لم يكن يدري ماذا حلّ بوالده. بعد سنوات من اليتيم ستروي له أمه ما جرى. طفل آخر لا يتجاوز الثانية من العمر، كان يلعب في ساحة البيت، لم يكن معنيًا بنواح النسوة ودموعهن، ولم يكن يعي أن أباه قد غادر البيت إلى الأبد.

في عرس البيرة، كان الصمت سيّد الموقف حدادًا على شهداء دورا-الخليل. وكان أهل العريس والمدعوون إلى العرس واجمين، وبين الحين والآخر كانت أسئلة حائرة تنطلق في فضاء الصمت تبحث عن نهاية لهذا المسلسل الدموي المكتظ بالعنصرية والحقد والتنكيل.

كنت أغادر العرس متلفعًا بالحزن، أجتاز حاجز الرام متجهًا نحو القدس. القتلة أمام أعيننا كل صباح وكل مساء، ودثنا عرضة لرصاصهم في كل ساعة من ليل، وفي كل ساعة من نهار.

طقس معتدل، ونهار شبيه بنهارات كثيرة تتوالى علي دون بهجة أو استمتاع. أصدع طريق الجبل ذاهباً إلى عملي في مدينة رام الله. أجتاز المخفر الذي بناه المحتلون منذ أشهر فوق أرضنا، أجتاز بيوت المستوطنة، أدخل الشارع العريض الذي عبّده حديثاً ليعخدم المستوطنة وحي تلييوت الشرقية، وأمضي إلى رام الله.

أنهمك في عملي. أقرأ مجموعة من المقالات لنشرها في العدد الرابع عشر من "دفاتر ثقافية". أسأل عن البريد لعل رسالة القاهرة التي ترسلها نورا أمين قد وصلت، لكنها لم تصل. أتلقى عددًا من الهواتف. يزورني في المكتب عدد من الأصدقاء.

بعد انتهاء الدوام، أتناول غدائي البسيط، ثم أنهمك في قراءة حوار طويل مع محمد حسنين هيكل حول أوضاع العرب الراهنة، وحول آفاق التسوية المنتظرة مع حكام إسرائيل. يبدو هيكل متشائمًا، ويرى أن أية

تسوية في هذه الظروف ستكون مجحفة بحق العرب والفلسطينيين، وستكون في الوقت نفسه تسوية مؤقتة، وهو يرى أن الصراع لن يتوقف. أهااتف الدكتورة وفاء درويش للاستفسار عن مقالة لها سنشرها في "دفاتر ثقافية". اتفقت معها أن تكلف ابنتها بانتظاري على الشارع لكي تسلمني المقالة. غادرت مبنى الوزارة. توقفت قرب بيت وفاء على الشارع الرئيس المؤدي إلى القدس. لم أجد ابنتها في انتظاري. هبطت من السيارة واتجهت إلى بيتها. كانت هناك هي وابنتها، وكن يتأهبين للخروج. استلمت المقالة منها، وطلبت مني أن أوصلها هي والبنتين إلى القدس، لأنها ستذهب للسلام على أمها القادمة من عمان.

اليوم عيد ميلادي. أصبح عمري سبعا وخمسين سنة. بدأت منذ أسبوع تنفيذ برنامج الكتابة اليومية (هذا اليوم لم أكتب شيئا، لأنني كنت مضطرا إلى مشاهدة فيلم "المعتقل" على الفيديو. لم يعجبني الفيلم. منذ أسبوع ونبيل العريان، منتج الفيلم، يهاتفني ليسألني رأيي في الفيلم. غداً قد يتصل بي، وسوف أعطيه رأيي فيه. هو قدمه من أجل المشاركة في جوائز فلسطين للأدب والفنون والعلوم).

كتبته خلال الأسبوع الماضي قصتين قصيرتين. المشكلة أن ذهني مشتب، ولدي ارتباطات يومية كثيرة (اليوم ذهبت إلى صلاة المظل في رام الله القديمة لحضور افتتاح المعرض الفني لمحمد صالح خليل والهندية صباحادي. جاء ياسر عبد ربه وافتتح المعرض. وجاء سليمان النجاب وعدد من الكتاب والفنانين. تفرّجت على اللوحات المعروضة، ثم غادرت عائداً إلى البيت). أحاول هذه الأيام أن أقلص مشاركتي في ندوات وأنشطة عديدة.

الكتابة الإبداعية، بالنسبة إليّ، تحتاج إلى بطالة كاملة، وتحلّل من
الارتباطات اليومية، ونوع من الاسترخاء مع كثير من القراءة، وأكثر هذه
الأمور غير متوافر لي للأسف الشديد.

مساءً، احتفلنا بعيد ميلاد الحفيد أسامة وقد أصبح عمره عامًا واحدًا.
إنه طفل وسيم موفور الصحة.

سأحاول بعد قليل، كتابة شيء خاص ببرنامج حزب الشعب لتقديمه
للجنة التحضيرية للمؤتمر. بعد مؤتمر الحزب الذي سيعقد في حزيران
القادم، سيكون نشاطي الحزبي محدودًا، ولن أعود عضوًا في اللجنة
المركزية للحزب، لأنني لن أرشح نفسي لعضويتها. سأحاول تكريس كلّ
وقتي للكتابة.

طوال الليلة الماضية سقط الثلج حتى استحالت الجبال والوديان والطرق والسهول إلى بياض كثيف يغمر وجه الأرض. كان عليّ أن أمضي إلى عملي كالمعتاد، لكن الثلج حال دون ذلك. شعرت بارتياح لأن هذا الأمر سيّتيح لي فرصة للقراءة، كما سيّتيح لي فرصة للتخفّف من الكلام الذي يستثير الحساسية في حنجرتي، فأبدأ في السعال كلما تكلمت. وهكذا رحت أقرأ بنهم الجزء الرابع من "قصة الحضارة" لـويل ديورانت.

غير أنني شعرت بشيء من القنوط. ففي زمن سابق، لم يحدث أن تساقط الثلج وبقيت محشورًا في البيت. كان يطيب لي أن أخرج لتأمل الثلج، وللمشي عليه، ولتشكيل كرات من مادته الهشة، أضغط عليها بين أصابعي حتى تصبح كتلة متراصّة، أقذفها نحو الآخرين من الأصدقاء اللاهين بالثلج، المغتبطين به، بالرغم من البرودة الحادّة التي تنخر العظام.

هل هو التقدّم في العمر، يفرض منطقته، ويغير من عادات المرء؟ أم
هو الإحساس الضاري بقرب انتهاء الرحلة، وأنه لا بدّ من استثمار كل
دقيقة من وقتي للاستزادة من بحر المعرفة الذي لا ينضب؟
لكن للثلج بهجته التي لا يصحّ إهمالها. ومع ذلك فإنني لم أغادر
البيت.

الجمعة 3/20

عدت إلى "ظل آخر للمدينة"، وأجريت التصحيحات المطلوبة على الكمبيوتر، وسأظل أراجع هذا النص أربعة أشهر أخرى قبل أن أدفع به إلى المطبعة.

يوم أمس، كنا مجتمعين في مكتب الوزير، وقد نقل لنا خبرًا مفاجئًا عن خضوع محمود درويش لعملية جراحية في القلب بأحد مستشفيات باريس. كان الوزير يتابع أخبار محمود أولاً بأول على الهاتف من خلال ليلي شهيد، سفيرة فلسطين في فرنسا.

ذهبت إلى بيت الوالد والوالدة بعد ظهر هذا اليوم. تحدثنا في موضوعات شتى حديثًا بسيطًا هادئًا. الوالد يذكر حادثة ما والوالدة تضيف إليها بعض التفاصيل، ما يعني أن الحادثة الواحدة جرى تداولها مرّات ومرّات.

قبل يومين، تساقط الثلج. كان الطقس اليوم والبارحة شديد البرودة.

ذهبت إلى العمل متأخراً. قابلت زكريا محمد أمام مبنى الوزارة. كان متجهاً إلى دار الناشر لمتابعة المخطوطات التي أرسلتها الوزارة للطباعة. أخبرني أن ياسر عبد ربه سافر إلى باريس للاطمئنان على صحة محمود درويش، حيث كان وضعه صعباً في الليلة الماضية. تمنّينا لمحمود الشفاء العاجل ثم افترقنا.

زارني الدكتور رشدي الأشهب. أحضر معه قصتين مترجمتين لنشرهما في "دفاتر ثقافية". سلمته مخطوطة "قضية فلسطين" لهنري كتن، التي قام بترجمتها إلى العربية، وذلك لتدقيقها وإعادةها إلي تمهيداً لطباعتها على نفقة الوزارة. وقد لاحظ أنني أسعل باستمرار، فأخبرته بأنني مصاب بحساسية في الحنجرة منذ ثلاثة أشهر. نصحني بالسفر إلى مصر، لقضاء ثلاثة أسابيع في حلوان، حيث الطقس هناك ملائم لمثل هذه الحالة، ما سوف يساعدني على الشفاء.

يحيى يخلف، لاحظ يوم أمس، وأنا جالس في مكتبه، أن حالتي
الصحية لم تتحسن. نصحتني بأخذ إجازة طويلة للراحة. قلت: سأحاول
ذلك بعد الانتهاء من العدد (14) من "دفتر ثقافة".

انتهيت من قراءة "اعترافات جان جاك روسو". أسلوب روسو في الاعترافات يتسم بالسرد الشائق، وبالصدق والجرأة في تقديم نفسه للقارئ. كم كان محبًا للعزلة وللخمول! وهما في اعتقادي من الصفات الضرورية للكاتب، لكنه كان قاسيًا على أطفاله وهو يرسلهم إلى الملاجئ لكي يتخلّص من عبء تربيّتهم والعناية بهم. ترجمة الكتاب سيئة، مملوءة بالأخطاء اللغوية.

كم أعجبني موقف جان جاك روسو حينما قرّر أن يعتزل الكتابة، لقضاء بقية حياته مرتاحًا لا يفعل شيئًا! وكم كان محبًا للابتعاد عن الناس بسبب ما تعرّض له من دسائس ومؤامرات على أيدي كثيرين، وبالذات من بعض أصدقائه!

يوم أمس، علمت أن صحة محمود درويش تتحسن، وقد اجتاز مرحلة الخطر، وسوف يغادر غرفة الإنعاش في مستشفى بباريس يوم الأحد القادم.

ظهرت في الصحف المحلية خلال الأسبوع الماضي مقالات تتحدث عن محمود وتتمنى له الشفاء، بالذات مقالة ليحيى يخلف، وأخرى لحسن خضر. سأنشر خبراً في "دفاتر ثقافية" لتهنئته بالشفاء.

منذ أيام، لم أر الحفيد محمود. أكون منهمكاً في غرفتي أقرأ أو أكتب، فأسمع صوته مشاعباً خارج البيت، لكنه يدخل بعد ذلك إلى بيت أهله دون أن أراه.

عملت على الكمبيوتر مدة ساعتين. دققت عدة صفحات في مخطوطتي "ظل آخر للمدينة". حاولت أن أكتب شيئاً. كتبت نصّاً نثريراً هزلياً. كم أتضايق حينما أحاول الكتابة فأجد نفسي خاوية من الداخل ولا رغبة لدي في الكتابة!

هذا المساء، ذهبت إلى مركز الفن الشعبي لحضور فيلم "كفر قاسم". لم يكن في الصالة الصغيرة سوى عدد قليل من الرجال والنساء. جلست بجواري امرأة شابة صادفتها مرّات عدّة أمام مبنى وزارة الثقافة، ولست أدري هل هي عربية أم أجنبية؟ ملاحظتها تشير إلى أنها أجنبية، وهي كما يبدو من التعاملات في قطاع المؤسسات غير الحكومية، ويبدو أنها تعرفني دون أن أعرفها، إذ حالما تراني مقبلاً تبسم. أقول لها مرحباً. تقول مرحباً بصوت خافت، ثم ينتهي كل شيء.

هذا المساء، اتجهت إلى باب القاعة. كانت تقف هناك. ابتسمت. حييتها كالمعتاد. دخلت إلى القاعة. كانت هناك حقيبة نسائية فوق مقعدي المفضّل في هذه القاعة الصغيرة. فتشت عن مقعد آخر مناسب، فلما لم أجد عدت إلى الجلوس في المقعد المجاور لمقعدي المفضّل. توالى دخول الرجال والنساء إلى القاعة مع لحظة اقتراب العرض. دخلت المرأة

واتجهت إلى المقعد حيث الحقيبة. كانت هي التي حجزت المقعد. جلست ولم نتبادل كلمة واحدة، ثم ابتداء الفيلم.

انفعلت وأنا أتابع تفاصيل المجزرة التي نفذها الصهاينة ضد أهالي كفر قاسم أثناء العدوان الثلاثي على مصر، وذهب ضحيتها تسعة وأربعون شخصاً، وقد حاول المخرج برهان علوية أن يجسد المجزرة على الشاشة، دون أن يتورط في ضجيج الشعارات، أو في الزعيق الميلودرامي. انفعلت أكثر حينما ظهر مشهد في نهاية الفيلم مقروناً بمقطع من قصيدة محمود درويش "كفر قاسم": "إنني مندوب جرح لا يساوم/ علّمتني ضربة الجلاد أن أنهض من موتي/ ثم أمشي وأمشي وأمشي على جرحي وأقاوم."

تذكّرت أن محمود درويش سيغادر غداً غرفة الإنعاش في مستشفى بباريس.

كل التمنيات لمحمود درويش بالشفاء.

زرت الوزير في مكتبه بعد أن عاد من السويد. تصفّح العدد (14) من "دفا تر ثقافية" وأبدى ارتياحه له. تحدّث عما يحفل به العالم المعاصر من تقدّم نظري في مجال الثقافة، وأشار في معرض حديثه إلى بؤس المداخلات العربية في مؤتمر "الثقافة والتنمية" الذي حضره في ستوكهولم.

سألته عن صحة محمود درويش، حيث زاره في باريس قبل التوجّه إلى السويد، فأخبرني أنه بحالة جيدة الآن، وقال إنه وصل درجة الخطر في وقت سابق حينما اندلعت في جسمه جلطات صغيرة كثيرة، لكنها لم تلبث أن ذابت، واستطاع الخروج من الخطر. طلبت منه هاتف المستشفى كي أتصل بمحمود.

بادر إلى الاتصال به فوراً، تحدّث معه، واطمأن على صحته، ومازحه بعض الوقت، ثم تحدّثت أنا معه. هنأته بالسلامة. كان صوته متعباً بعض الشيء. قال لي: تأخرنا عن الشغل. قلت: المهم الآن أن تعود بالسلامة. كان يقصد العمل في لجنة جوائز فلسطين التي يرأسها للمرّة الثانية.

كنت في مركز بلدنا في البيرة "المدرسة الهاشمية الثانوية سابقاً" لحضور ندوة عن الشهداء: خليل الوزير، عبد القادر الحسيني وكمال ناصر، ولحضور افتتاح معرض الكتاب. تأملت المبنى من الداخل وأنا أشعر بالأسى. هنا عملت مدرّساً سنوات 1963، 1964، 1965، وكانت لي أيام متميّزة مع تلاميذ متميّزين (سيكون منهم في المستقبل وزراء وأطباء ومهندسون ومعلّمون وأدباء وصحافيون). تأملت الردهة التي كانت فيها طاولة التنس، حيث كنا نجري المباريات فيما بيننا نحن المعلّمين. تأملت غرفة المعلّمين التي كنا نجلس فيها في الاستراحات بين الحصص. تأملت غرفة المدير التي تعاقب عليها في السنوات الثلاث المذكورة أعلاه كل من: أحمد يوسف، سعيد سمور وناظم البيطار. تذكّرت الزملاء المدرّسين، والطلبة الذين كان بعضهم أعضاء في الحزب، وأصبح بعضهم الآخر فيما بعد من أعزّ أصدقائي. كانت تلك السنوات من أجمل السنوات التي عملت فيها في مهنة التدريس.

هاتفنت محمود درويش الذي عاد إلى رام الله، ثم ذهبت لزيارته في مكتبه. ذهب معي الكاتب رسمي أبو علي. سلّمنا على محمود وهنأناه بالسلامة. لاحظت أنه ما زال مرهقاً ونحيلاً من أثر العملية الجراحية التي أجريت له. كان عند محمود الكاتب أكرم هنية. تبادلنا أحاديث شتى. سألتني محمود عن المتقدمين لجوائز فلسطين، فأخبرته بأن العدد ما زال قليلاً. تحدّث عن البؤس الذي يمثله كثير من الشعر الفلسطيني، وقال: الفضيحة تظهر حينما يترجم هذا الشعر إلى اللغات الأجنبية، وأنذاك يطلع العالم على بؤسنا. سلمت محمود هدية كان أحضرها له الشاعر طه محمد علي لمناسبة خروجه من المستشفى، فلما لم يجده سلمها لي إلى حين حضوره إلى رام الله.

راجعت نصّ "ظل آخر للمدينة". شعرت باستياء من بعض المشاهد التي يطغى عليها السرد الإخباري التقريري. قرأت ساعتين في كتاب فيصل حوراني "دروب المنفى". فيصل يتقن حشد التفاصيل الممتعة.

أشعر بعدم الرغبة في الكتابة، خصوصًا بعد الإحباط الذي تلقّيته أمس
وأنا أتصل هاتفياً بموزعي "دفاتر ثقافية" في مختلف المدن. أخبروني أنهم
لم يبيعوا إلا عددًا قليلًا من النسخ.

هاتفتم محمود درويش، واتفقت معه على أن أزوره في الثانية عشرة والنصف ظهرًا. ذهبت إلى مركز خليل السكاكيني ماشيًا، وذلك للاستمتاع برياضة المشي. التقيت في المركز الكتاب: وليد أبو بكر، عزت الغزاوي، ورشاد أبو شاور، وكانوا خارجين من عند محمود. صعدت درجات المبنى، ووجدت الكاتب حسن خضر في مكتب محمود.

دار حديث بيننا حول ضرورة عقد المؤتمر السادس لاتحاد الكتاب. رفع محمود سماعه الهاتف واتصل بأحمد عبد الرحمن الأمين العام للاتحاد، واقترح عليه عقد اجتماع عاجل للأمانة العامة. تم الاتفاق بين الاثنين على عقد الاجتماع في الأول من حزيران أو في الثاني منه.

بعد ذلك، خرج حسن وتحدثت مع محمود حول تشكيل لجنة الجوائز، وكنت اتفقت مع ياسر عبد ربه، قبل سفره إلى دولة الإمارات، على أن أزور محمود درويش للتحدث معه في أمر تشكيل اللجنة. عرضت قائمة

بأسماء المتقدمين لنيل الجوائز، وقلت له: في ضوء هذه القائمة يمكن تشكيل لجنة الجوائز.

عرضت قائمة أسماء لكي نقوم لاحقاً (محمود والوزير وأنا) باختيار خمسة عشر اسماً من بينها لعضوية اللجنة. فوجئ محمود حينما أخبرته بأنني لم أعد قادراً على أداء دور أمين السر في اللجنة. قلت: اللائحة الداخلية الجديدة لا تمكنني من أداء هذا الدور. وكنت أنا الذي اقترحت بأن يحرم العاملون في الوزارة من دخول لجنة الجوائز. قال: مرّ هذا التعديل دون أن أنتبه إليه، وإلا لما وافقت عليه. قلت: سأواصل الاتصال باللجنة وحضور اجتماعاتها- دون التدخل في عملها- باعتباري منسقاً بين الوزارة واللجنة، وهذا ما تنص عليه اللائحة الداخلية المعدلة. أمضينا ساعة في التحدّث عن الجوائز واللجنة، ثم أرجأنا تسمية الأعضاء إلى حين عودة الوزير من السفر.

أخذت إجازة ليوم واحد، وذهبت صحبة أفراد العائلة في رحلة إلى بحيرة طبريا. جلسنا على شاطئ البحيرة. وكان الطقس ربيعياً ممتعاً. أم خالد وزوجات الأبناء بدأن بتحضير اللحم للشواء، وأنا رحت أتأمل الناس المنتشرين على الشاطئ، وأتأمل البحيرة وما يحيط بها من جبال وأشجار وأماكن نائية.

محمود كان خائفاً من الماء، لم يجرؤ على الدخول في البحيرة أكثر من عشرين سنتيمتراً. بشار كان جريئاً، وضعته أمه في الماء فترة طويلة. بلقيس بكت طوال الوقت، ولم ترغب في الاقتراب من الماء. كان الشاطئ غاصاً بالإسرائيليين رجالاً ونساء، وكان اليوم هو يوم عطلة لديهم لمناسبة ذكرى نزول التوراة.

التقط خالد لنا صوراً للذكرى. تمسّيت على الشاطئ حوالي ساعة، ولم أنزل في الماء. لم يكن المكان نظيفاً. كان ثمة بعض الفلسطينيين، من

الناصره كما يبدو، على الشاطئ، وبدا أنهم وعائلاتهم مستمتعون بهذه
الرحلة.

عدنا إلى البيت قبيل المساء.

الأربعاء 6/3

عقدنا اجتماعاً للأمانة العامة لاتحاد الكتاب يوم أمس، في مقر مركز الدراسات الفكرية التابع لحركة فتح في رام الله. ترأس محمود درويش الاجتماع، وكان يتدخل على نحو شديد الإيجاز. وقد تم الاتفاق على عقد المؤتمر السادس للاتحاد في القاهرة قبل نهاية هذا العام.

واصلنا الاجتماعات هذا اليوم، ولم يحضر محمود إلا في نهاية الاجتماع، والسبب هو تحديد موعد لاجتماع في مكتبه يحضره ياسر عبد ربه وأنا، لتسمية أعضاء لجنة الجوائز. شاركت مدة خمس وأربعين دقيقة في اجتماع الأمانة العامة، ثم غادرت إلى مكتب محمود درويش.

وصلت في الوقت المحدد، ولم يكن الوزير قد وصل بعد. قلت لمحمود إن نعيم الأشهب ورفيقين آخرين يرغبون في اللقاء معه للبحث في موضوع سياسي (كان أبو بشار قد أخبرني برغبته في اللقاء مع محمود). وافق محمود على اللقاء يوم السبت القادم بتاريخ 6/6/1998. هاتفنت نعيم الأشهب وأخبرته بذلك.

جاء الوزير. أجرينا نقاشًا مكثفًا وموجزًا حول لجنة جوائز فلسطين، ثم قمنا باختيار خمسة عشر اسمًا. اتصلت بهم هاتفياً هذا اليوم وأبدوا موافقتهم على المشاركة في اللجنة، ودعوتهم إلى اجتماع يعقد يوم الاثنين القادم بتاريخ 8 / 6 / 1998 .

حينما كنا نناقش بعض الأسماء لإشراكها في اللجنة، لاحظت أن لمحمود آراء قاطعة في بعض الأشخاص، حتى من أصدقائه المقربين. كان يقترح رفضهم لاعتقاده بأن غيرهم أحقّ منهم بعضوية اللجنة. وقد تم الاتفاق على أن أعمل منسقاً بين الوزارة واللجنة.

الاشنين 6/8

اجتمعت لجنة جوائز فلسطين اجتماعها الأول. تم انتخاب محمود درويش رئيساً للجنة للمرة الثانية. افتتح ياسر عبد ربه الاجتماع بكلمات، أوضح فيها ما أجريناه من تعديلات على اللائحة الداخلية، وما نتوخاه من الجوائز. اقترح طه محمد علي أن أكون أمين سر اللجنة. تدخلت وقلت إنني لست عضواً في اللجنة بحسب نص اللائحة الداخلية، ولكن بحكم وظيفتي يمكن أن أكون منسقاً بين الوزارة واللجنة. تدخل محمود درويش والوزير وأيدا فكرة المنسق. علّق طه محمد علي قائلاً: نحن نثق في المحمودين، وهما جديران بالمهمة الموكولة إليهما.

قبل يومين عدت من عمان ومعى زوجتي وابنتى أمينة. ذهبت إلى مصر مدة أسبوع، وهما بقيتا في صويلح (أهل زوجتي مقيمون في صويلح منذ النكبة الفلسطينية في العام 1948) إلى حين عودتي من هناك. لم أتصل بأحد من الأصدقاء في عمان. أمضيت ثلاثة أيام في صويلح والزرقاء عند الأقارب. أنجزت بعض المعاملات الخاصة وعدت إلى القدس.

في القاهرة (لم أذهب إلى حلوان مثلما نصحني الدكتور رشدي الأشهب). تعرّفت إلى أدباء وأديبات من مصر. تعرفت إلى د. صلاح فضل، وقد احتفى بي ودعاني إلى العشاء في مطعم على النيل. ودعا أيضًا: محمود أمين العالم، د. جابر عصفور، طلعت الشايب، وعفاف السيد.

حضرت أمسية تأبينية لغالي شكري في مقر المجلس الأعلى للثقافة. كان من بين المتحدثين الروائي إدوار الخراط. هذه هي المرة الثانية التي أراه فيها دون أن يحدث بيننا تعارف (المرة الأولى كانت العام 1990

حينما جئت من براغ، التي كنت مقيمًا فيها، إلى القاهرة للمشاركة في الأسبوع الثقافي الفلسطيني. رأيته في فندق شبرد مع بعض المثقفين الفلسطينيين، ولم نتعارف).

أقمت في فندق شبرد، وكنت قادمًا إلى القاهرة بتكليف من وزارة الثقافة الفلسطينية لعقد اتفاقية مع دار شرقيات للنشر. قابلت حسني سليمان صاحب شرقيات. أخذتني إليه مراسلة دفاتر ثقافية في القاهرة، نورا أمين، التي جاءت مع ابنتها الطفلة، جميلة، كي تأخذني من الفندق. ركبنا سيارة تاكسي إلى دار شرقيات. وهناك التقيت مع غالب شعث وأحمد عمر شاهين، وبعد ذلك جاءت الكاتبة مي التلمساني، ثم جاءت الكاتبة هالة البدري.

اتفقت مع دار شرقيات على طباعة ستة كتب لكتاب فلسطينيين كل ثلاثة أشهر.

دعاني نورا أمين إلى حضور احتفالها بعيد ميلادها الثامن والعشرين. ذهبت إلى بيتها، وهناك تعرفت إلى القاص منتصر القفاش، الناقدة شيرين أبو النجا، الشاعر محمد عيد إبراهيم، وعدد من الفنانين والمخرجين السينمائيين.

بعد يومين من عيد ميلادها، جاءت نورا أمين لكي تسلمني رسالة القاهرة الثقافية. أخبرتني بأن والدها مات بسبب مرض في المعدة (64)

سنة). عزّيتها بوفاته، وطلبت منها أن تنقل تعازي إلى والدتها الدكتورة منى أبو سنة.

زرت دار الأهالي، وكان معي الشاعر مؤيد العتيبي (جاء من عمان في رحلة عمل خاصة، ونزل في فندق شبرد، التقيته صدفة أمام الفندق ذات مساء). التقينا فريدة النقاش، حسين عبد الرازق، ومجدي حسنين. فريدة طلبت من مجدي أن يجري معي حوارًا خاصًا بمجلة "أدب ونقد"، لكن الحوار لم يتم بسبب تعطل الهاتف في غرفتي دون أن ألاحظ ذلك، فلما جاء مجدي إلى الفندق بحسب الموعد المتفق عليه بيننا لم يستطع الاتصال بي، واعتقد أنني لست موجودًا في الفندق، فغادره إلى بيته.

ذهبت إلى وزارة الداخلية بشارع نابلس في القدس. مدّدت وثيقة السفر مدة عام، ثم ذهبت إلى القنصلية الأمريكية. قابلت آن كاسبرز، مسؤولة القسم الثقافي في القنصلية، قدّمت طلبًا للحصول على تأشيرة سفر، وذلك للسفر إلى أمريكا بدعوة من جامعة أيوا للالتحاق بالبرنامج الدولي للكتاب الذي تنظّمه هذه الجامعة كل عام.

ستكون هذه فرصة لي لتحسين لغتي الإنكليزية، وللإطلاع ما أمكن على بعض جوانب الحياة الثقافية في أمريكا.

بعد أسبوع، يصدر كتابي الجديد "ظل آخر للمدينة"، وسيكون هو الكتاب التاسع في سلسلة كتبي التي أصدرتها في السنوات الماضية.

الثلاثاء 12/1

عدت من أيوا قبل أسبوع. مكثت هناك ثلاثة أشهر، وشاركت في البرنامج الدولي للكتاب الذي تنظمه جامعة أيوا كل عام. كنا تسعة عشر كاتبًا وكاتبة من بلدان عدة.

كانت رحلتي إلى بلاد العم سام حافلة بالقراءة والندوات والرحلات إلى مدن شتى في تلك البلاد الجميلة الواسعة، التقيت فيها كُتّابًا وكاتبات، والتقيت أقارب مقيمين هناك وأصدقاء، وكتبت عددًا من القصص القصيرة جدًّا.

كتبت أيضًا يومياتي عن تلك الرحلة، اليوميات التي سأحتفظ بها إلى وقت آخر لعلني أستفيد منها في تأليف كتاب عن رحلتي إلى الولايات المتحدة الأمريكية وإلى غيرها من البلدان.

ركبنا سيارة أجرة، وذهبت أنا وزوجتي وابنتي أمينة إلى مستشفى تل هشومير في تل أبيب. كان على أمينة أن تمثل أمام لجنة طبية، لكتابة تقرير عن مدى العجز الذي ابتليت به، ولتحديد نسبة الإعفاء من الجمارك التي يمكنها أن تتمتع بها، لدى شراء سيارة تساعد على الحركة. الطقس مشمس، ولكن ثمة نسمة باردة تلفح الوجوه. السائق المقدسي يقود سيارته بسرعة ومهارة، وأنا أحاول أن أقرأ بضع صفحات في رواية لكاتب أمريكي، أحضرتها معي من مكتبة بريري لايتس في مدينة أيوا الأمريكية، أثناء زيارتي الأخيرة للولايات المتحدة الأمريكية.

خرجنا من مقر اللجنة بشعور من عدم الارتياح. لم أتمكن من القراءة ونحن في طريق العودة إلى القدس. كنت أفكر في مشكلة أمينة، وكنت كلما رأيت فتاة في مثل عمرها، تسير بحيوية ونشاط فوق الرصيف، أتألم لما أصابها، حيث حرّمها المرض من نعمة العيش السوية، وكنت أعجب في الوقت نفسه لقدرتها على الاحتمال، ذلك أنّ لها ابتسامة بريئة سرعان

ما ترتسم على وجهها رغم العجز الذي يكبل أطرافها، ويجعلها غير
قادرة على الحركة إلا بصعوبة، وبقدر من المعاناة.

حاولت إعداد بعض التصوّرات لعمل مسرحي بناء على اقتراح من المخرج مازن غطاس. لم يكن ذهني صافيًا، فأنا مشغول في احتفال جوائز فلسطين في الآداب والفنون والعلوم، الذي ستقيمه وزارة الثقافة غدًا بحضور الرئيس ياسر عرفات. ولأنني مسؤول اللجنة المشرفة على تنظيم الاحتفال، فإن ذهني ظل مشغولاً كل الوقت. هاتفت المذيعة ماريهان دسوقي التي ستتولى عرافة الاحتفال للاطمئنان على إنجازها لكتابة كلمات التقديم. أخبرتني أنها أنجزت كل شيء، فاطمأن بالي إلى حدّ ما. أشعر أنني بحاجة إلى كل دقيقة من وقتي للكتابة والقراءة. بعد عودتي من الولايات المتحدة الأمريكية، ومشاركتي هناك في البرنامج الدولي للكتاب الذي تنظمه جامعة أيوا، ثمة رغبة لديّ في تكريس وقتي كله للكتابة. الآن، بعد مؤتمر حزب الشعب الذي انعقد أثناء غيابي في الولايات المتحدة، لم أعد عضوًا في اللجنة المركزية للحزب، ولم تعد لدي مهمات حزبية كثيرة. لذلك، سأتجه بكل قدراتي نحو الأدب، بالرغم من

مشاعر الإحباط التي تعتريني بين الحين والآخر، وتجعلني متشككًا في
جدوى الكتابة في ظروفنا الكئيبة الراهنة.

ما زلت أتلقى العلاج بسبب الالتهاب الذي أصاب مشط قدمي اليسرى قبيل مغادرتي مدينة أيوا. ثمة تحسّن في حالتي، لكنني ما زلت أشعر ببعض الألم حينما أمشي.

هذا اليوم تحدّثت مع الوزير حول عدم رضاه عن بعض فقرات احتفال جوائز فلسطين يوم أمس في نابلس. قال إنه عاتب على الذين أفسدوا بتسرّعهم نهاية الاحتفال، لكنه أقرّ بأن الاحتفال كان ناجحًا.

أثناء جلوسي في مكتبه جاء أحمد دحبور، وجاءت ليانة بدر، شربنا القهوة التي أعدها الوزير في مكتبه، ثم قال إنه قرأ كتابي "ظل آخر للمدينة" وأعجبه، وقد أفرحني هذا الكلام.

الجمعة 12/25

قدّمت قبل يومين أفكارًا حول نص مسرحي للمخرج مازن غطاس
بناء على اتفاق مسبق بيننا. يبدو أن هذه الأفكار لم تعجبه، أحسست بأن
جِراء ذلك. من الآن فصاعدًا، لن أتقدّم بأية مادة مكتوبة لأي شخص
قبل أن أكون متأكدًا من جدارتها.

الطقس بارد في الخارج، وقدمي لا تؤلمني، ربما بسبب الراحة التي
نلتها طوال النهار.

زرت محمود درويش. سألني عن رحلتي إلى الولايات المتحدة الأمريكية. حدّثته عنها بإيجاز، ثم تحدّثنا عن اتحاد الكتاب، وعن ضرورة عقد مؤتمره الذي لم يعقد حتى الآن.

سأحاول، ابتداء من هذا اليوم، الانتظام في الكتابة بمعدّل خمس أمسيات في الأسبوع، وسأشرع في كتابة رواية للفتيات والفتيان، حول العودة إلى الوطن. وسأواصل تسجيل الملاحظات في دفتر خاص تمهيداً للعودة إلى مخطوطة رواية "فرس العائلة"، ولتطويرها ونشرها.

الأم في قدمي يكاد يتلاشى ثم يعود كلما مشيت أو تعرّضت لإجهاد بدني. اليوم تسامرت مع الوالد والوالدة. الوالد تحسنت صحته بعد وعكة ألمت به قبل يومين.

قرأت ديوان محمود درويش الأخير "سرير الغريبة"، وقرأت "كتاب الابن" لمحمد القيسي. وقد استمتعت بالكتابين، خصوصاً كتاب محمود الذي يشكل تطويراً ممتازاً للمسار الإبداعي الذي ابتدأه في ديوان "لماذا تركت الحصان وحيداً".

بعد أقل من ساعتين يبدأ عام جديد، وسأصبح على مشارف الثامنة والخمسين. الطقس بارد في الخارج، وفي ساعات المساء كان ثمة مطر خفيف يهطل من السماء.

1999

"لا يموت أحد فجأة إلا تمنيت أن أموت فجأة"

خليل السكاكيني

الجمعة 1/1

ها هو ذا عام جديد يطلُّ علينا. لم أسهر ليلة أمس خارج البيت. كنت أرقب زحف الدقائق الأخيرة من العام 1998 وأنا أشتغل على الحاسوب. أرسلت رسالة تهنئة بالعام الجديد، للطالبة الأمريكية من أصل يهودي، إليزابيث وينسلو، التي ترجمت قصصي القصيرة جدًّا إلى اللغة الإنكليزية.

لو كان ثمة مزاج لسهرت، لكنني أفتقر إلى المزاج الجيد في مثل هذه الظروف البائسة التي تظلّ حياتي، وربما حياة أناس كثيرين في هذا الجزء المنكوب من العالم .

قرأت كتابًا لليانة بدر، وهو نصوص شعرية ممتعة بعنوان "زنابق الضوء"، وشرعت في قراءة رواية إبراهيم نصر الله "حارس المدينة الضائعة"، وفيها قدر جيد من السخرية.

عام جديد يطلُّ علينا ونحن ما زلنا نعيش تحت وطأة احتلال امتدّ و طال.

زرت محمود درويش في مكتبه. تحدّثت معه حول إمكان قيام الوزارة بإعادة نشر ديوانه الأخير "سرير الغريبة"، كان ذلك بناء على حديث دار بيني وبين ياسر عبد ربه، فاقترح علي أن أقوم بزيارة محمود من أجل هذه الغاية. قال محمود إنه سيهاتف الناشر ويقترح عليه السماح للوزارة بإعادة النشر.

لاحظ محمود أنني متعكّر المزاج، بسبب الألم الذي أعاني منه في قدمي. نصحني أن أذهب إلى طبيب متخصص في أمراض القلب. قال إنه قبل أن يجري عملية القلب المفتوح، ظل يشكو من ألم في ساقه، ولم يكن يكثرث به، ثم تبين له فيما بعد أن ذلك كان بسبب انسداد في شرايين القلب.

قرأت حوالي أربعين صفحة في رواية ميلان كونديرا "الخلود". إنه روائي بارع، يبدأ من لحظة إنسانية غاية في البساطة، ثم يتفرّع متطرّقاً لكثير من التفاصيل المستقاة من الصحف ومن الإذاعة والتلفاز.

منذ أيام تؤلمني عيني اليسرى أثناء القراءة، وينزل منها الدمع. سأذهب إلى طبيب العيون إن لم يتوقّف الألم. كم تزعجني هذه الآلام التي تصيب جسمي بين الحين والآخر! أعرف أنها في جانب كبير منها ناتجة عن الإجهاد الذي تسببه لي القراءة والكتابة. حينما أتذكّر صراع إدوارد سعيد مع مرض السرطان، واستمراره في نشاطه الثقافي رغم المرض، فإنني أستمّد شجاعة من موقفه، وأوطّد العزم على الاستمرار في هذا الجهد النبيل.

ذهبت إلى قسم العلاج الطبيعي في العيادة التابعة لصندوق المرضى في جبل المكبر، تولّت معاينة قدمي فتاة شابة اسمها إليزابيث، وهي من يهود كندا. قالت لي إنها تفكر بالعودة إلى كندا من جديد. توصلت إليزابيث إلى

قناعة مفادها أن قدمي تعرضت لإرهاق من كثرة المشي. علمتني بعض
تمارين رياضية، استفدت منها وتحسن وضعي، وأنا ما زلت أواصل
الذهاب إلى العيادة لاستكمال العلاج.

شعرت بألم في أحد أسناني. ذهبت إلى طبيب الأسنان بعد اتصال هاتفي. عيادة الطبيب تقع في الحد الفاصل بين القدس وبيت لحم، قريباً من قبة راحيل على وجه التحديد. قالت لي الموظفة في العيادة، بعد أن استشارت الطبيب حول قدومي إلى العيادة دون حجز مسبق، إن بإمكانني القدوم. ذهبت إلى العيادة، كان هناك عدد من الرجال والنساء في غرفة الانتظار.

أخبرت الموظفة الطبيب بأمر وصولي، ثم دعاني إلى الدخول، وكان قد أخبرها أنني كاتب، ما جعلها معنيّة بالتعرف إلي. قالت إنها طالبة في جامعة بيت لحم، واسمها جيزيل، وهي تعمل في العيادة مؤقتاً. قلت لنفسي: ما زال للكتابة من يهتمّ بها، وكان هذا خيراً وبركة.

غادرت العيادة وأنا متخفّف من الألم. تمشيت في شوارع الحي المحيط بالعيادة بعض الوقت. تذكرت أنني كنت هنا قبل سنوات طويلة، حينما عملت مع أبي في صيف تلك السنة التي أنهيت فيها دراستي الثانوية، في

ورشة لشق الطرق. تذكّرت بنتاً مراهقة في الحي تركب دراجة هوائية
بالقرب من بيت أهلها. كنت أجلس على مقربة من البيت لعلها تنتبه لي،
لكنها كانت في شغل عني طوال الوقت. طويت صفحة الذكريات، ثم
عدت إلى البيت.

يوم أمس ذهبت إلى عيادة العيون في مستشفى هداसा الشرقية. قال لي الطبيب بعد أن فحص عيني: لا يوجد شيء مقلق، كتب لي روصيتة فيها قطرة للعينين.

ذهبت إلى شارع صلاح الدين لشراء القطرة، ولزيارة المكتبات التي تباع كتابي الأخير. مشيت قليلاً في الشارع، وكان الطقس بارداً. هذا اليوم لم أتمكن من القراءة إلا على نحو محدود بسبب الانشغال في المناسبات الاجتماعية.

في الصباح، داومت في مكتب الحزب لكي أشرف على إخراج الصفحات الثقافية في مجلة "صوت الوطن"، التي قرر الحزب إعادة إصدارها في رام الله من جديد (في السابق كانت تصدر في نيقوسيا، وكان رئيس تحريرها الدكتور ماهر الشريف، ومديرها العام عبد الرحمن عوض الله). سيصدر العدد الأول بعد أيام، وهو العدد (49) من حيث التسلسل الرقمي.

يقع مكتب الحزب في بناية عند أول مدينة البيرة على الشارع الرئيس بين القدس والبيرة ورام الله. مقابل هذه البناية كان ثمة حاجز عسكري إسرائيلي. أزال الإسرائيليون هذا الحاجز واعتمدوا حاجزًا آخر عند فندق سميراميس، حيث أصبحت بناية الفندق مقرًا لجيش الاحتلال. في الظهيرة، أنجزت عملي في المجلة. غادرت مكتب الحزب وعدت إلى القدس.

انتهيت من قراءة رواية "الخلود" لميلان كونديرا. قرأتها باللغة الإنكليزية، وهي تقع في (345) صفحة، وفيها تتجلى قدرة كونديرا على كتابة الرواية، حيث يخرج على القواعد المألوفة للكتابة الروائية، ويؤسس لنفسه معايير الخاصة، أو كما ورد في الرواية نفسها: كتابة رواية غير قابلة للتلخيص.

وانتهيت من قراءة السيرة الذاتية لحنا أبو حنا "ظل الغيمة"، وفيها استقصاء جيد لذاكرة الفلسطيني الذي يتحدث عن طفولته ومراهقته، ورصده للكثير مما حفلت به الحياة الشعبية الفلسطينية من حكايات وخرافات وتقاليد وعادات.

كتبت قصة قصيرة جداً، لكنني غير راض عن مستواها.

تغييت عن الوظيفة يوم أمس، وانهمكت في قراءة رواية "المثقفون" لسيمون دو بوفوار التي ظهرت في الستينيات، ولم أتمكن من قراءتها آنذاك. كم أشعر بالأسى لأنني أقرأ هذه الرواية بعد أكثر من ثلاثين سنة على ظهورها! عدت لتأمل قراءاتي في ذلك الزمان البعيد، واكتشفت أنني لم أكن قادرًا على متابعة كل ما كان يصدر من كتب، وذلك بسبب انشغالي في الوظيفة، وفي العمل الإضافي بعد الدوام (في جريدة الجهاد المقدسية). انتهيت هذا المساء من قراءة الجزء الأول من الرواية (500 صفحة). لم تعجبني الصفحات الكثيرة المكرّسة للسياسة، أما تلك الصفحات الخاصة بالعلاقات الإنسانية، فإنها ما زالت محتفظة بروبقها.

الثلاثاء 3/2

أخذت الوالد في سيارتي إلى القدس. سرد عليّ بعض ذكرياته عن البلاد أيام الانتداب فيما كنا ندخل القدس الغربية. أشار إلى بعض البنايات التي يسكنها اليهود الآن، وقال إن هذه البيوت تخص الفلسطينيين. الوالد هادئ الطباع ولا يفرض نفسه على أحد، وهو عموماً قليل الكلام. وفي أيام شبابه كان مختاراً لعشيرة الشقيرات بضع سنوات.

أخبرت المخرج المسرحي مازن غطاس بأنني لن أتمكن من كتابة النص المسرحي المتفق عليه في وقت سابق، وقد أراحني هذا القرار قليلاً. لن أكتب إلا ما أعتقد أنني قادر على كتابته.

انتهيت قبل قليل من تصفّح بعض صفحات جريدة "الحياة" التي تصدر في لندن، على الإنترنت. وقبل ذلك كنت ألقيت نظرة على الإيميل الخاص بي، ولم أجد سوى رسائل من مركز خليل السكاكيني الثقافي.

الاثنين 3/15

في الأسابيع القليلة الماضية، قرأت عددًا لا بأس به من الروايات والكتب الأخرى. قرأت لكونديرا، ولجورجي أمادو، وآخرين. أشعر أن كتابة الرواية ليست بالسهولة التي يعتقد بها بعض الكتاب، وعلى الروائي أن يكون صاحب نظرة عميقة إلى الحياة، وعليه أن يعكس نظرتَه هذه في روايته لكي تكون قادرة على البقاء. ولقد اكتشفت أن الرواية الجيدة ليست هي التي تُعنى برصد الوقائع، وإنما التي تتخذ من الوقائع ذريعة لترسيخ فكرة أو سلوك أو خبرة بشرية ما.

هذا اليوم، انتظرت عند حاجز الرام ما يقارب الساعتين، بسبب إجراءات الأمن التي يتخذها جنود الحراسة على الحاجز. شتمت الاحتلال الإسرائيلي في سري عشرات المرات، وشتمت بعض التافهين الأنانيين من أبناء شعبنا الذين يتزاحمون على المرور قبل غيرهم، ما يؤدي إلى إبطاء حركة السير، البطيئة أصلاً بسبب إجراءات الاحتلال.

الحفيد محمود لم يذهب إلى المدرسة هذا اليوم بسبب التهاب في أذنه،
أخذه أبوه إلى العيادة الطبية، ثم عاد به إلى البيت. كم أشفق على هذا
الطفل! وكم أخشى عليه من عثرات الزمان!

السبت 3/27

اليوم هو عيد الأضحى. أشعر بعدم ارتياح في الأعياد. العلاقات بين
الناس آخذة في التدهور.
قرأت اليوم ما تبقى من الجزء الثاني من كتاب "الأيام" لطفه حسين.

الاثنين 3/29

بعد قليل سأرسل عبر الإيميل، رسالة إلى إليزابيث وينسلو، الطالبة الجامعية في جامعة أيوا، وسأضمّنُها تصحيحًا لعدد من قصصي التي قامت بترجمتها إلى اللغة الإنكليزية مؤخرًا. عيناى تدمعان باستمرار والقطرة لا تنفع. الطقس دافئ هذه الليلة، والربيع على ما يرام، أو هكذا أعتقد.

الخميس 4/1

هل أكتب عن جنون الحرب الأطلسية ضد الصرب؟ هل أكتب عن جنون الصرب ضد ألبان كوسوفو؟ هل أكتب عن الغطرسة الأمريكية، وعن رغبة أمريكا المحمومة في حكم العالم والسيطرة عليه؟ هل أكتب عن النتائج المدمرة التي تركها الاحتلال الإسرائيلي على نفسيات الناس في بلادي؟ ثمة انهيار للقيم في مجتمعنا، وثمة نزعة عنف مكبوت تبحث عن فرصة للتفيس، وهي نزعة تتجه إلى الداخل في أحيان كثيرة، حيث يمارس الناس العنف ضد أقرب الناس إليهم.

هاتفت اليوم عزت الغزاوي للسؤال عن مصير مخطوطتي الخاصة بالأطفال تحت عنوان "مهنة الديك". أخبرني أن المخطوطة سوف تطبع على نفقة مركز أوغاريت الثقافي، وهو مركز أنشأه حديثاً الغزاوي وآخرون، وهو مدعوم من جهات أوروبية.

ذهبت إلى محل الطريفي للنظارات، واتفقت مع صاحب المحل على أن يجهز لي نظارتين واحدة للقراءة وأخرى للعمل على الكمبيوتر.

واشتریت حذاء مطّاطيّاً مريحاً لقدميّ.

الخميس 4/8

لم أذهب إلى الوظيفة هذا اليوم. كنت متعبًا بسبب الانهك في التحضير للاحتفال بكتاب محمود درويش "سريير الغريبة". حضر الاحتفال أكثر من مئتي شخص، وقد بيعت كل النسخ التي أحضرناها لهذه المناسبة (200 نسخة)، وقام محمود بالتوقيع على النسخ. قدّمت ياسر عبد ربه للجمهور. ألقى كلمة قصيرة، ثم قدّم محمود درويش، الذي ألقى كلمة عن الشعر والمرحلة، وعن حاجتنا للشعر.

هذا اليوم، انشغلت بالرسم. حتى الآن ما زالت قدراتي في الرسم محدودة، لكنني أشعر بمتعة وأنا أرسم، خصوصًا حينما أكون متنغمًا من أمر ما، فإنني لا أستطيع القراءة، ولا يظل أمامي سوى الرسم، الذي يهدئ أعصابي ويريحني من العناء النفسي.

الطقس بارد بعض الشيء، وقد سقطت أمطار خفيفة في الليلة الماضية وهذا النهار .

قرأت مئة صفحة في رواية "عوليس" لجيمس جويس. الرواية صعبة وفيها تداعيات كثيرة، ويبدو لي أن الترجمة تعاني من خلل ما، وثمة أخطاء مطبعية كثيرة، والحروف المختارة للطباعة تبدو مطموسة غير واضحة في بعض الأحيان. ومع ذلك فإن ترجمة هذا الكتاب الذي لطالما قرأت عنه، إلى العربية، تعتبر جهداً كبيراً.

جاء إلي هذا الصباح محمود وأخته ملاك. كنت أتناول طعام الفطور. ألقمته هو وأخته بضع لقيحات من الخبز المغمّس بالزيت والزعتر. إنه يحب الزيت والزعتر أكثر من أي طعام آخر، وهو الآن يقضي أيام عطلته المدرسية في اللعب.

قبل أسبوع أفنعت نفسي بضرورة الكتابة للأطفال وللفتيات والفتيان دون توقف، ووجدت أن إصدار خمسة عشر كتاباً للأطفال وللفتيان، وخمسة كتب أخرى للكبار، في ما تبقى لي من العمر، يعتبر أمراً معقولاً.

أحياناً يخطر في بالي الموت، لكنه يأتي على شكل هاجس مستبعد الوقوع. أحاول التكهن حول ما تبقى لي من سنوات على هذا الكوكب، ربما خمس سنوات، وربما عشر أو عشرين سنة، لكنني لا أظن أن العمر سوف يمتد بي أكثر من ذلك.

حينما كنت في جامعة أيوا، العام الماضي، حدثت كانغ هان، الكاتبة الكورية التي كانت تشارك معي في البرنامج الدولي للكتاب، أن أبي ما زال حياً يرزق، وهو في التسعين من العمر. دُهِشت كانغ وقالت: معنى هذا أنك ستعيش أربعين سنة أخرى! كانت تعطيني رقم الحد الأقصى قياساً على عمر والدي. وقد فوجئت وأنا أنتبه إلى أن ثمة إشارة إلى نقطة زمنية سينتهي عندها عمري.

كان الطقس مشمساً هذا النهار. تابعت الحفيد محمود وهو يلعب في ساحة البيت، بعد ذلك جلست في الساحة نفسها وانهمكت في القراءة.

قبل قليل، أعطيت الحفيد محمود درسًا في الكتابة، علّمته كيف يكتب الرقم ثلاثة. استمر الدرس حوالي عشرين دقيقة. حاول محمود أن يكتب، لكنه سرعان ما أصيب بالملل، أنهيت الدرس، ووعدته بأن أعطيه درسًا آخر مساء غد. إنه يتقدم ببطء شديد، وليست لديه رغبة في التعلم، كما يبدو.

يوم أمس، اجتمعنا، ياسر عبد ربه، محمود درويش، وأنا، في مكتب محمود، لتشكيل لجنة جوائز فلسطين في الآداب والفنون والعلوم. اخترنا خمسة عشر شخصًا، وسوف أقوم بالاتصال بهم قريبًا لأخذ موافقتهم على عضوية اللجنة.

كان محمود مرتاحًا للاحتفال الذي نظّمته الوزارة بمناسبة صدور ديوان "سرير الغريبة"، ثم تشعب الحديث. تحدّث محمود بشكل إيجابي عن مقالة د. فيصل دراج عن كتابي "ظل آخر للمدينة" التي نشرت في

"الكرمل"، وسألني ماذا أكتب هذه الأيام، أخبرته أنني أكتب قصصًا قصيرة، وحينما اقترحت عليه أن أنشرها في "الكرمل"، رحّب على الفور. وحينما هاتفت فيصل دراج ظهيرة هذا اليوم كي أشكره على المقالة، أخبرني أن محمود هو الذي اقترح عليه أن يكتب عن الكتب التي صدرت مؤخرًا حول "ذاكرة المكان.. مكان الذاكرة"، فكتب عن كتابي وكتاب حنا أبو حنا "ظل الغيمة".

اليوم، اغتنمت الحفيدة، ملاك، التي تبلغ من العمر ثلاث سنوات، الفرصة حينها لم تجد أحداً يردّها عن جهاز الكمبيوتر، وراحت تعبث به وكادت أن تسقطه على الأرض، ما كان سيؤدي إلى تلف المادة التي أخرجناها على القرص المدمج، ومنها هذه اليوميات.

يوم أمس، قرأت ملحمة "الأوذيسة" هوميروس للمرة الثانية. كانت القراءة الأولى أواسط السبعينيات. استمتعت بها هذه المرة على نحو أفضل، وخصوصاً بعد قراءتي لرواية جيمس جويس "عوليس" التي تتخذ من الملحمة المذكورة خلفية رمزية لها.

ذهبت إلى موعد على الغداء، اتفقت عليه مع آن كاسبرز، مسؤولة القسم الثقافي في القنصلية الأمريكية، ومعها السكرتيرة في القنصلية سوزان قريوتي. التقينا في مطعم "أزكى دنيا" الواقع في حي الشيخ جراح في القدس. أصرت آن على دفع الحساب، لكنها وعدتني أن نلتقي على الغداء مرة أخرى، وأن أقوم أنا بالدفع، وذلك استجابة لدعوة سابقة دعوتها فيها على الغداء، لكنها اعتذرت بعد ساعات من موافقتها على الدعوة، بسبب انشغالها في بيت لحم كما قالت. لكنني قدّرت فيما بعد أن سبب الاعتذار هو بدء الغارات الأمريكية - البريطانية على العراق، وهي لا تريد أن تكون محرّجة أمامي بسبب هذه الغارات.

حدّثت آن عن رحلتي إلى الولايات المتحدة الأمريكية. بعد الغداء ذهبنا إلى مركز الواسطي الذي يقع قرب المطعم، وتفرّجنا على معرض للرسومات، ثم عدت إلى البيت.

الاثنين 4/19

أحاول تغيير عاداتي كلها: تناول طعام دون ملح. الإكثار من تناول الفواكه والخضراوات. تقليل ساعات القراءة. تقليل ساعات العمل على الكمبيوتر. أشعر بإحباط، وأشعر بأن ما أصبو إلى تحقيقه من كتابات جديدة لن يتحقق.

ربما كنت متشائماً بسبب هذا التغير المفاجئ في برامجي، وربما كانت أعصابي مستثارة بسبب الاضطرار إلى التعود على نظام حياة جديد لم أتأقلم معه حتى الآن، لأنه لم يبدأ سوى قبل أيام.

لست خائفاً من الموت، لكن أكثر شيء يخيفني جلطة في الدماغ تقعدني ولا تقتلني، فأعيش عالة على من حولي، أسبب لهم الضيق والنكد. حينما أتذكر وضع الرفيق بشير البرغوثي، المصاب بشلل كامل، أشعر بالتعاطف الشديد معه، وأخشى من جلطة مفاجئة.

ما زلت مستاءً من ارتفاع ضغط الدم لدي. قرأت حوالي ساعتين في رواية "حرب نهاية العالم" لـماريو فارغاس يوسا، وقرأت عدة مقالات في الصحف المحلية التي كانت مكدّسة عندي تنتظر القراءة. القطرة الجديدة التي أحضرتها يوم أمس لم تنفع، لكنني صرت أميل إلى عدم الاكتراث لحالة عيني، وليكن ما يكون.

الطقس في الخارج معتدل، ولكنه يميل إلى شيء من البرودة. الإسرائيليون يحتفلون هذا المساء بذكرى قيام دولتهم على أشلائنا. قبل قليل، كنت أتمشى على سطح بيتنا، وذلك استجابة لنصائح الأصدقاء حول أهمية المشي بالنسبة إلى المصابين بارتفاع ضغط الدم.

الخميس 5/6

هذا المساء، قرأت ديوان محمود درويش "سرير الغريبة" للمرة الثالثة. هنا في هذا الديوان أجد نفسي أمام الشعر الخالص الذي يتحرّر من شرطه التاريخي. غداً، سأحاول قراءة "عنبر رقم 6" لتشيخوف مرة أخرى على أمل تحويلها إلى مونودراما مسرحية.

اليوم، زرت الطيبة الروسية بناء على موعد مسبق، قالت إن ضغط دمي عاد إلى وضعه الطبيعي، وطلبت مني أن أخفّف مقدار الدواء الذي آخذته (نصف حبة بدلاً من حبة كاملة كل يوم). قبل ساعة كتبت قصة قصيرة.

واصلت القراءة في رواية "حرب نهاية العالم" لِماريو فارغاس يوسا، باللغة الإنكليزية. إنها رواية متعبة، ومع ذلك، فلن أكفّ عنها حتى أنهيها.

كنت أتمنى، بيني وبين نفسي، ألا يموت أحد أو يمرض أحد، حتى أمارس متعة البقاء في البيت دون مفاجآت. لكن الأمر لم يستمر على النحو الذي أريده، فقد جاءنا هاتف من عيادة المسجد الأقصى، يقول إن الوالد موجود في العيادة، بعد أن نقله إليها أشخاص من فاعلي الخير، إثر تعرّضه للإغماء بعد الانتهاء من صلاة الجمعة.

ركبت سيارتي وذهبت أبحث عن الوالد (كانت معي فاطمة، زوجة أخي عليان)، دخلت بوابة باب الأسباط، وسرت في طريق الآلام ثم عدت. في هذه الأثناء، جاء الوالد ومعه بعض أبناء السواحة الشرقية، شكرتهم، ثم عدت به إلى البيت.

كانت القدس مليئة بالناس القادمين إلى المسجد الأقصى للصلاة فيه.
حينما كنت أسير بسيارتي في طريق الآلام، كان المذيع عبد السلام العابد
يقرأ من إذاعة "صوت فلسطين"، فصلاً من كتابي "ظل آخر للمدينة".
كانت مفارقة مفاجئة لي.

ثمة هواء عذب يتسلل عبر نوافذ البيت في هذا المساء. بعد قليل
أراجع القصص القصيرة التي كتبتها خلال الأشهر الماضية.

الجمعة 5/14

أرسلت القصص لمحمود درويش لنشرها في الكرمل، وكان عددها أربع عشرة قصة قصيرة.

مساء الأربعاء، التقيت محمود درويش في مكتبه، حيث اجتمعت لجنة جوائز فلسطين في الآداب والفنون والعلوم للعام 1999 اجتماعها الأول بحضور الوزير ياسر عبد ربه. انتخب محمود رئيساً للجنة للمرة الثالثة على التوالي، وتمت موافقة اللجنة على إشغالي موقع المنسق العام بين الوزارة واللجنة. جرت مباحثات بين محمود وبعض أعضاء اللجنة، وكان يرد على هذه المباحثات بحضور بديهة وبسخرية محبة.

يوم أمس، ذهبت إلى بيت الوالد والوالدة للتسامر معها، كان ذلك قبيل الغروب. كان الوالد في حالة صحية غير مواتية، فهو يشعر بدوخة وغثيان منذ الأسبوع الماضي. وجدت الجو مشحوناً بينه وبين والدة، بسبب رفضها تقديم القهوة له حفاظاً على صحته، وبسبب تدمرها من ميله الدائم إلى النوم. كان بدوره يتهمها بعدم تفهّم وضعه الصحي،

ويُطلق أحكام غير صحيحة حول حالته. تأملت لهذا الخصام الخافت
بينهما. حاولت قدر المستطاع أن أخفّف من انفعالهما، وبعد أن تراخى
احتدام المشاعر ودعتهما وخرجت.

كنت أتحدث أنا وحسن خضر عن محمود درويش. قال حسن: يكرس محمود كل حياته لشعره، ويعتبر الشعر هاجسه اليومي وهمّه الأساس. وقال إنه يشعر بالقلق دائماً، وهو دائم التساؤل، حادّ الذكاء. وقال إن لديه إحساساً حادّاً بالعبث، حيث لا يرضيه شيء، ولا يعجبه المديح، وهو يقول أحياناً: بالرغم من كل شعري الذي كتبتّه فإنني لم أضف سطرًا إلى ما كتبه شكسبير أو هوميروس. وقال حسن إنه علم منه أنه يتردّد كلما حاول نشر ديوان جديد، ويكون متخوفاً من مستواه، كأنه كاتب مبتدئ يكتب للمرة الأولى في حياته.

كنت أستمع إلى ما يقوله حسن خضر، وأشعر بثقل مسؤولية الكتابة وبفداحة متطلّباتها، فإذا كان محمود درويش بكل ما استحقّ من شهرة، وبكل ما حققه من إنجازات شعرية يتخوّف إلى هذا الحد، فماذا أقول أنا بعد أن أخذ النشاط السياسي كثيرًا من وقتي، فلم أحقق الكثير حتى الآن في ميدان الكتابة!

الخميس 5/27

تناولت طعام العشاء في مطعم السنترال بيت لحم، بدعوة من إبراهيم السلحوت زوج أختي آمنة، وكان معنا أصدقاء آخرون. عدت إلى البيت في الحادية عشرة مساء. قست ضغط دمي، وكان في مستوى طبيعي.

كان المطعم خاليًا تقريبًا من الزبائن، لا رجال ولا نساء. ثمة ركود في حياتنا الاجتماعية مثلما هو الحال في حياتنا السياسية.

زرت محمود درويش قبل أسبوع. تحدثنا عن لجنة الجوائز وعن المتقدمين لنيل الجوائز، واستعرضنا بعض الأسماء التي لها حظوظ في الجوائز، ثم تحدثنا عن بعض إشكالات حياتنا الثقافية في هذه المرحلة. أخبرني حينما سألته عن الكتابة أنه يشتغل على مشروع شعري جديد، وأنه قطع فيه شوطاً جيداً. لم أسأله عن ماهية هذا المشروع، لكن سليمان النجاب الذي التقيته اليوم في مكتبه، قال لي إن محمود درويش يكتب عن الموت.

بعد قليل، أذهب إلى المسرح الوطني في القدس لحضور مونودراما كتبها محمد علي طه، وسوف أتحدث عنها مساء الغد في ندوة تعقد لهذا الغرض.

انتهيت من قراءة رواية "حرب نهاية العالم"، وهي رواية متعبة لكنها جيدة.

الجمعة 7/2

يوم أمس استلمت مجلة "الكرمل" وفيها قصصي. القصص المنشورة كانت ثلاث عشرة، وقد تم نسيان القصة الرابعة عشرة لأنها موجودة في ملف منفصل في الديسك الذي استلمه مني سكرتير تحرير المجلة، زكريا محمد.

قال ياسر عبد ربه إنه قرأ القصص وأزعجه ما فيها من إحباط وتشاؤم. احترمت رأيه الصريح هذا. ومع ذلك، سأحاول أن أستمع إلى وجهات نظر أخرى حول القصص، لكنني أخشى المجاملات التي تعم حركتنا الثقافية، إذ يتحرّج كثيرون من المثقفين من قول آرائهم بصراحة خوفاً من إثارة الحساسيات.

الاشنين 7/5

غداً أسافر إلى مصر في وفد مكوّن من ياسر عبد ربه، يحيى يخلف وأنا. سنقابل، يحيى وأنا، وكيل وزارة الثقافة المصرية، وكذلك حسني سليمان مدير دار شرقيات، وسنلتقي عبد العزيز البابطين رئيس مؤسسة البابطين للإبداع الشعري.

لم أقرأ شيئاً هذا اليوم. الطقس حار هذه الليلة. لا أستطيع النوم إلا بصعوبة ليلة السفر.

عدت من السفر قبل يومين، وبقيت يوم أمس في البيت. استثمرت الوقت في قراءة رواية للكاتب البرازيلي جوزيه سارنيه "سيد البحار"، وهي رواية عن البحر وعن الحب وعن العلاقات الإنسانية، وهي حافلة بالتخييل والفانتازيا. كاتبها كان رئيسًا للبرازيل من سنة 1985 حتى سنة 1990، مع ذلك لم تحل انشغالاته العامة بينه وبين الكتابة الإبداعية. كانت الرحلة إلى القاهرة والإسكندرية ممتعة. لاحظت أن تحسّنًا طرأ على مزاجي وعلى صحتي بسبب هذه الرحلة، إذ يبدو أن كسر الروتين اليومي قد ساعد على هذا التحسّن.

هذا المساء استأنفت تعليم محمود الكتابة، إنه يتقدّم ببطء، وهو يحول كل شيء إلى مزاح وسخرية، ومع ذلك فإنني أحاول استثمار هذه السخرية لتوصيل المعلومات اللازمة إليه. في الخارج تهب رياح صيفية قوية.

أرسلت عنواني إلى هيئة دولية للكتاب على الإنترنت. كانت ثمة
حكمة مسجلة على صفحة الإنترنت التابعة لهذه الهيئة تقول: الخيال أهم
بكثير من المعرفة. أعجبتني هذه الحكمة، لأنني أشعر بأن ما أحتاج إليه
لكي أكتب هو إطلاق العنان لمخيلتي التي تحاصرها ظروف العمل
اليومي، والاهتمامات اليومية الصغيرة.

ثمة طالبة جامعية ستأتي غدًا إلى مكتبي في الوزارة لكي تستلم نسخًا
من كتبي لزميلة لها في جامعة النجاح، تعتزم القيام بكتابة رسالة ماجستير
حول كتاباتي القصصية. هذا خير وبركة.

وثمة مشروع يعدّ له الفنان جورج إبراهيم الآن، يتمثل في تحويل
كتابي "ظل آخر للمدينة" إلى مسلسل تلفزيوني. بالتأكيد، خير وبركة.

الاثنين 7/19

استلمت رسالة مسجلة من الكاتبة الكورية الجنوبية كانغ هان، وفيها
أشرطة موسيقية من كوريا. الآن أستمع على الكمبيوتر لأحد هذه
الأشرطة، ثمة موسيقى هادئة، وكلمات أغاني لا أعرف معناها، لكنني
أفرح لهذا التواصل الإنساني النبيل.

بعد أيام يصدر لي كتاب جديد للأطفال، وهو أربع عشرة قصة
قصيرة كنت كتبتها في زمن سابق، وعنوان الكتاب هو "مهنة الديك".
ذهبنا، سليمان النجاب، ياسر عبد ربه، وأنا، لزيارة بشير البرغوثي في
بيته بالبيرة. تأملت وأنا أرى بشير مشلولاً شللاً كاملاً، ولا يستطيع
تحريك أي جزء من جسمه سوى عينيه. في طريقنا إلى بيت بشير أبدى
سليمان إعجابه بالقصص التي نشرتها في "الكرمل"، وقد أشعروني رأيه
بالارتياح.

غادرت الوزارة بعد انتهاء الدوام، وذهبت إلى مستشفى المقاصد كما هي العادة كل يوم، لأخذ ابنتي أمينة من هناك والعودة بها إلى البيت. في المساء، قرأت بضع صفحات في رواية توني موريسون "العيون الأكثر زرقة"، وهي روايتها الأولى التي كشفت فيها عن موهبة كبيرة ظلت قادرة على العطاء المتميز حتى الآن. كلما قرأت رواية ذات مستوى يتضاعف يأسي من كتابة رواية جيدة، يصبح الأمر أكثر إرباكًا وحيرة، وتزداد نقمتي على ظروف حياتي التي لا تمكنني من التفرغ للكتابة.

بقيت في البيت بسبب العطلة التي قرّرتها السلطة الفلسطينية لمناسبة كسوف الشمس الذي وقع بعد ظهر هذا اليوم. تعطلت كل مظاهر الحياة في هذا الشرق المتخلف خوفاً من الكسوف. أتممت قراءة ما تبقى من رواية "حارث المياه" لهدى بركات. هذه كاتبة مثقفة تظهر ثقافتها في كتابتها الروائية. ربما ظهرت بعض شخصيات روايتها في بعض المشاهد كأنها مجرد أبواق تردّد أفكار المؤلفة، لكن هذا الحفر العميق في تاريخ بيروت وفي تاريخ القماش يجعل نصّها في غاية الجمال، وهو يثير لدى القارئ متعة عقلية مؤكدة.

شعرت بشيء من الحيرة لأن بريدي الإلكتروني لم يحمل لي رسائل منذ الثالث عشر من حزيران الماضي.

هذا المساء، غضبت من الحفيد محمود أثناء تعليمي له كتابة الأرقام. كان يمعن في الضحك وفي العبث. زجرته بحدة، فسالت الدموع من عينيه، ما جعلني أتألم لذلك.

زرت محمود درويش في مكتبه. استعرضنا معًا أسماء الكتاب والفنانين المتقدمين لجوائز فلسطين في الآداب والفنون والعلوم. توقفنا عند بعض الأسماء التي لها حظوظ في الفوز. كان محمود يعلق دون تحفظ على بعض الأسماء التي تفتقر إلى العمق. سألته عن أخبار كتابته، قال إنه انتهى من الكتابة الأولى لعمل شعري جديد، فغبطته على ذلك. قلت له إنني منذ أشهر لم أكتب شيئًا.

شرعت هذا المساء بقراءة رواية "ذاكرة الجسد" للكاتبة الجزائرية أحلام مستغانمي. لم تشدني الرواية كثيرًا بسبب رغبة الكاتبة المتكلفة في تشويق القارئ، وإصرارها على إخفاء الأسرار عنه أطول وقت ممكن. كم أشعر بالتعب وأنا أعمل على الكمبيوتر! سأنتهي من الكتابة الآن. الساعة تقترب من الواحدة ليلاً.

انتهيت من قراءة رواية "فوضى الحواس" لأحلام مستغانمي، وقد وجدتُها أفضل من روايتها السابقة. في "ذاكرة الجسد" إصرار من الكاتبة على تحويل شخصيات روايتها إلى مجازات أدبية مكشوفة، بحيث تكون "حياة" هي الجزائر، وزوجها هو الطبقة التي تحاول سرقة الثورة لخدمة مصالحها الطبقية. في الرواية الثانية، تمارس الكاتبة اللعبة نفسها، ولكن على نحو أكثر إقناعاً، ثم إنها تحاول ترسم خطى ميلان كونديرا (أو لعلها تفعل ذلك من باب توارد الخواطر ومن دون تأثر بكونديرا) في خلق شخصية وهمية ثم متابعتها في النص كما لو كانت شخصية مفعمة بالحياة. لقد فعل كونديرا ذلك في رواية "الخلود"، وهي تفعل الشيء نفسه في روايتها هذه.

ذهبت بعد الظهر صحبة الوالد إلى قاعة القدس لحضور خطبة تانيا، ابنة أخي محمد، على موسى، ابن أختي آمنة. بقيت هناك ثلاث ساعات ثم عدت إلى البيت أترقب مباراة كرة القدم بين المنتخب الفلسطيني

والمنتخب السوري. كانت المباراة ممتعة في الشوط الثاني، خصوصًا حينما أحرز المنتخب الفلسطيني هدف التعادل، مخرجًا بذلك المنتخب السوري من اللعب، رغم أن هذا الأخير يعتبر أكثر مراسًا وبراعة في اللعب. شعرت بالمتعة لأن ثمة فريقًا فلسطينيًا يحرز نتائج طيبة، ويرفع اسم فلسطين عاليًا بين المنتخبات الرياضية العربية، ولكنني حزنت لحال الرياضة في بلادنا التي ما زالت متخلفة شأنها في ذلك شأن جوانب أخرى في حياتنا.

في مثل هذه الليلة قبل عام، كنت في مدينة أيوا الأمريكية، وصلتها في الرابع والعشرين من آب لأمكث هناك ثلاثة أشهر.

الثلاثاء 8/31

راقبت مباراة كرة القدم بين المنتخب الأردني والمنتخب العراقي.
كانت المباراة حارقة للأعصاب، ثم انتهت بفوز المنتخب الأردني
بركلات الجزاء.

أعطيت الحفيد محمود درسًا في الكتابة والرسم. إنه يتقدم ببطء شديد.
غداً لن أذهب إلى العمل. سأصطحب أمانة إلى مستشفى هداसा
لإجراء فحوصات.

الطقس غير حار، والوضع العام بالغ السوء.

الجمعة 9/3

خالد في مستشفى شعاري تصيدق منذ ثلاثة أيام. ذهبت مساء أمس
صحبة أفراد العائلة لزيارته، إنه يعاني من التهاب في الحنجرة. بقينا عنده
عدة ساعات، ضاع أثناءها محمود في ردهات المستشفى الكبير. كنت
أمشي جيئة وذهاباً في ردهات الطابق السابع حيث يرقد خالد، وكان
محمود يقلدني في مشيتي. فجأة غاب عن نظري، رحنا نبحث عنه في كل
مكان، ولم نعثر عليه إلا بعد أكثر من نصف ساعة. كان قد هبط الدرج
نحو الطابق السادس، وحينما افتقدنا، ولم يعرف كيف يعود إلينا، راح
يبكي، فاستوقفه مواطن فلسطيني جاء لزيارة قريب له، وبقي واقفاً معه
قرب كاونتر الاستقبال إلى أن عثرنا عليه.

الساعة الآن التاسعة والرابع مساء. أفراد الأسرة ذهبوا لزيارة خالد.
أمينة في غرفتها تقرأ في كتاب.

السبت 9/4

في المساء، ذهبت صحبة الوالد لزيارة خالد. ذهبت معنا باسمه وحسام وولداهما شروق وشريف، وذهب معنا محمود الذي لم يتوقف عن الثرثرة طوال الوقت. تمشيت في ردهات المستشفى كالعادة، وتفرّجت على لوحات فنية مثبتة على الجدران لرسّامين مختلفين من بينهم الرسام الاسباني خوان ميرو.

أعتقد أن الوقت قد حان للشروع في كتابة رواية تصف وضعنا الصعب في ظل أسوأ احتلال في تاريخ البشرية. ينبغي علي أن أكتب عن هذا الصلف الإسرائيلي الذي لم يشهد التاريخ ما يماثله من صلف.

الجمعة 9/10

اليوم، كتبت قصة للأطفال سأقوم بإرسالها إلى محمد علي طه لنشرها في مجلة جديدة للأطفال. قرأت حوالي خمسين صفحة في كتاب "الثقافة والإمبريالية" لإدوارد سعيد، إنه كتاب مهم، وفيه طرح لوجهات نظر جديدة، وارتداد لمناطق في الثقافة الغربية لم يطرقها أحد من قبل.

يوم أمس، ذهبت صحبة عدد من الأصدقاء إلى مطعم البرج في قرية جفنا. أمضينا سهرة ممتعة، لكن الجو تعكر فيما كنا عائدتين في سيارتي إلى بيوتنا، حيث جرت حوارات ساخنة بين اثنين من الأصدقاء.

هذا الصباح، اجتمعت لجنة جوائز فلسطين للآداب والفنون والعلوم برئاسة محمود درويش. شاركت في الاجتماع بصفة كوني منسقاً بين اللجنة ووزارة الثقافة. أبحث لنفسي التدخل في المناقشات حينما لاحظت أن بعض أعضاء اللجنة يطرحون أفكاراً تعوزها الدقة. كان محمود درويش يقود الاجتماع بصورة سلسلة، ودون تشنج، أو محاولة فرض آراء خاصة، وقد دعا إلى التدقيق في الأسماء التي تم التوقف عندها إلى حين عقد الاجتماع القادم للجنة، ما أثار ارتياحاً لدى الأعضاء.

هذه الليلة، أكملت قراءة كتاب "صور المثقف" لإدوارد سعيد، الذي يتضمن طرْحاً لأفكار نيرة حول دور المثقف ووظيفته وموقفه من السلطة ومن المجتمع.

اليوم، استلمت خمسين نسخة من كتابي الجديد المكرّس للأطفال "مهنة الديك الصادر عن مركز أوغاريت للنشر. هذا هو كتابي العاشر. حتى الآن ما زالت حصيلتي من الكتب قليلة بالمقارنة مع غيري من الكتاب الذين بدؤوا الكتابة معي أوائل الستينيات. إذا قُيِّض لي أن أعيش عشر سنوات أخرى، فينبغي عليّ أن أنشر ما بين خمسة إلى عشرة كتب جديدة للأطفال وللکبار.

هذه الأيام، أعيش في سباق مع الزمن. للمرّة الأولى في حياتي أشعر أن رحلة العمر تمضي سريعاً، وعليّ أن أجتهد على نحو أكثر جدية في الكتابة والقراءة. آه من القراءة! كم هي كثيرة الكتب التي ما زالت تنتظرنني دون أن أتمكن من قراءتها! وآه ثم آه من آفة النسيان! كتب كثيرة أنتهي من قراءتها ثم أنساها.

أكملت اليوم قراءة كتاب "الثقافة والإمبريالية" لإدوارد سعيد. إنه كتاب قيّم ، ساعدني على تعديل فكري عن الغزو الاستعماري، فقد كنت أعتقد أنه شر كله، لكن إدوارد سعيد يثبت بشكل ملموس أن الاحتكاك بالغرب عبر الغزو الاستعماري أسهم من بعض وجوهه بإحداث يقظة لدى الشعوب المستعمرة. طبعًا هذا لا يعني الدفاع عن الاستعمار أو تبريره. ثم إن هذا الانفتاح الذي أحدثته الإمبريالية بين الشعوب ما زال شاخصًا حتى الآن ومفتوحًا على آفاق كثيرة بعضها سلبي وبعضها الآخر إيجابي .

غداً لن أذهب إلى الوزارة. سأظل في البيت لتحضير ملف ثقافي لـ "صوت الوطن" عن إدوارد سعيد. وفي ساعات ما بعد الظهر سأذهب صحبة الوالد إلى قاعة القدس، لحضور حفل الزفاف الذي يقيمه الأقارب. وبعد ذلك سأذهب إلى رام الله لحضور ندوة شعرية تقام على هامش معرض فلسطين الدولي الرابع للكتاب الذي افتتح مساء أمس .

هذا الصباح، إلى مستشفى شعاري تصيدق، للعودة بخالد إلى البيت، بعد أن أجرى عملية استئصال للوزتين. في العادة لا أنهض من النوم مبكرًا، لكنني لاحظت أن النهوض المبكر من النوم، وتأمل الكون وهو في لحظات تفتحه الأولى يمكنه أن يكون محفزًا على الكتابة، لذلك سأفكر بالنهوض المبكر من النوم كل صباح.

يوم أمس، كانت لدينا ندوة على هامش معرض الكتاب للشاعر هارون هاشم رشيد. كان الرجل عاتبًا حينها وجد القاعة فارغة. اعتبر أننا لم نقم بجهد كافٍ للدعاية لندوته. قال إن اسمه يجتذب الجمهور، لكن الإعلان المنشور في الصحف عن الندوة لا يكاد يراه أحد.

غضبت حينها لم أجد أحدًا من أعضاء لجنة المعرض إلى جوارى، حتى إنني كنت مضطرًا إلى إحضار الماء إلى المنصة بنفسى.

بعد شيء من التأخير، ابتدأت الندوة، وكان في القاعة جمهور لا بأس به، ما جعل الشاعر راضيًا بعض الشيء.

أمضيت هذا اليوم في حالة من الهدوء التام.

انتهيت من قراءة كتاب "الاستشراق" لإدوارد سعيد. إنه كتاب ممتاز، وفيه تحريض على ضرورة الشك في كل شيء ناجز، والغوص في أعماق النصوص للتعرف إلى ما تخفيه في باطنها من دلالات. كما تعرّفت إلى تفاصيل النظرة الغربية العنصرية إلينا، بوصفنا شرقيين ذوي صفات ثابتة لا تتغير.

ابتداء من هذا اليوم، بدأت التحضير لكتابة شهادتي عن القصة القصيرة، التي سألقيها في دارة الفنون بعمان، بدعوة من مدير الدارة الشاعر الروائي إبراهيم نصر الله.

هذا المساء، تناولت طعام الغداء صحبة الأبناء والأحفاد. كان الداعي ابني عصام، قدّم لنا لحومًا مشوية، لم أكل منها سوى القليل حفاظًا على صحتي، وخوفًا من مضاعفات تزايد نسبة الكولسترول في دمي. أما

ارتفاع ضغط الدم، فقد قررت ابتداء من يوم أمس، وبالتشاور مع الطبيبة
إيلا ليفين، تخفيض جرعة العلاج الخاصة به إلى مقدار النصف.
الطقس في الخارج معتدل. نحن في أوج الخريف. سأذهب الآن إلى
الإنترنت.

هذا المساء، انتهيت من كتابة الشهادة التي سألقيها في دارة الفنون بعمان. إنها في مجملها الشهادة السابقة التي ألقيتها في جامعة بير زيت قبل ثلاث سنوات، وقد أضفت إليها ما نشرته في مجلة "صوت الوطن" حول لحظة الكتابة، وهي مادة طلبها مني اتحاد الكتاب الفلسطينيين، تمهيداً لترجمتها إلى اللغة الإنكليزية ونشرها مع نصوص أخرى في كتاب. ثم إنني أجريت بعض التعديلات، وأضفت بعض الإضافات. عموماً، فإن الشهادة مقبولة.

مشكلتي في بعض ما أكتب، أنني أعود إلى الأحداث، فأعيد وصفها بحسب سنوات وقوعها في السياق التاريخي. أعتقد أن قراءتي لكتاب "الاستشراق" لإدوارد سعيد، وقراءتي حول ميشيل فوكو ومنهجه الخاص بآركيولوجيا المعرفة الذي يرفض تسلسل الأفكار، ويؤمن بالقطيعة المعرفية، قد تساعدني على التحرر من الكتابة التي تعنى بالوصف الخارجي وبتسلسل مادتها وفقاً لسياقها التاريخي.

غداً صباحاً أسافر إلى عمان. سأملك هناك ثلاثة أيام. محمود منقطع
عني منذ أيام، حينما عرف أنني سأسافر في الصباح، طلب مني أن أحضر
له معي لعبة، فوعده خيرًا.

قبل يومين، عدت من عمان. كانت الرحلة قصيرة ممتعة. أُلقيت الشهادة في دار الفنون أمام جمهور القاعة، وهي قاعة صغيرة لا تتسع لأكثر من ستين شخصًا. قدّمني إبراهيم نصر الله للجمهور بكلمات حميمة. بعد ذلك، سهرنا معًا في مطعم ريم البوادي، وفي بيت الدكتور رضوان مسنّات، وكذلك في بيت الدكتور فايز صياغ.

عدت من عمان ومعني هدايا لمحمود ولبقية الأحفاد. أحضرت لهم ألعابًا، وقد فرحوا لها فرحًا غير قليل، فارتاحت نفسي لذلك، وشعرت بالسرور لأنني أدخلت الفرحة إلى قلوب الأحفاد.

يوم أمس، ذهبت إلى الوزارة. كان محمود درويش قد اتصل يسأل عني للتأكد من موعد اجتماع لجنة الجوائز. اتصلت به، ثم ذهبت لزيارته. كان لدينا اجتماع في تمام الخامسة مساءً. عقدنا الاجتماع، واتخذت اللجنة قرارًا بمنح اثني عشرة جائزة، منها جائزة لبيت الشرق، وأخرى للمسرح الوطني الفلسطيني، وثالثة للفنان اللبناني مارسيل خليفة.

هذا المساء، مات العم أبو عياش، الذي تحدّث عنه في كتاب "ظل آخر للمدينة"، فوصفته بأنه كان دائم الشرود. كان بسيطاً طويلاً طوال حياته. غداً سأنهض في الصباح الباكر للذهاب مع عدد من شباب العائلة، للعودة بجثمان العم من مستشفى شعاري تصيدق، ثم تشييعه إلى مشواه الأخير.

الجمعة 11/5

دفنّا العم أبو عياش في مقبرة القرية يوم الجمعة الماضي. بعد الدفن مباشرة تناولنا طعام الغداء في بيت الحاج محمود خضر شقير بدعوة من عائلة الحاج خليل، وهم فرع من عشيرة الشقيرات، ثم عدنا إلى بيت العزاء الذي استمر ثلاثة أيام.

كنت مضطراً لمغادرة بيت العزاء صباح السبت الماضي للمشاركة في المؤتمر الصحفي الذي عقده ياسر عبد ربه في مقر وزارة الإعلام للإعلان عن جوائز فلسطين. ذهبت في الصباح إلى مكتب محمود درويش. أطلعته على الحشيات التي كتبتها حول الفائزين، ثم غادرنا في سيارته إلى مقر وزارة الإعلام، وهناك التقينا ياسر عبد ربه. تم الإعلان عن الجوائز بحضور حشد من الصحفيين، ومن موظفي وزارتي الثقافة والإعلام.

شعرت باستياء حينما لاحظت أحد الزملاء يشيح بوجهه عني لأنه لم يفز بالجائزة. كان قد تقدّم بمادة وثائقية، لكنه لم يفز. مشكلتي أنني في كل عام أخرج بعدد من الخصومات مع عدد من الناس بسبب هذه الجوائز،

علمًا بأنني لم أعد، وبناء على رغبة شخصية مني، عضوًا في لجنة الجوائز، فأنا منذ العام الماضي أعمل بصفة كوني منسقًا بين الوزارة واللجنة، ولا دخل لي في اتخاذ القرارات.

لاحظت أن محمود درويش يشعر بالاستياء كذلك. أخبرني بأنه لن يرأس اللجنة في العام القادم. مشكلة الوسط الثقافي في بلادنا أنه وسط مصاب بالحساسيات.

يميل الطقس هذه الليلة إلى البرودة، ويبدو أن ثمة مطرًا سيهطل في الغد.

هذا الصباح، ذهبت إلى جامعة بيت لحم للتحضير لاحتفالات الجوائز التي ستقام هذا العام على مدرج الجامعة. كان معي من وزارة الثقافة الزملاء علي عامر، علاء الخليلي، وأسعد الأسعد. التقينا د. مانويل حساسيان نائب رئيس الجامعة، وموسى درويش مدير العلاقات العامة في الجامعة. تبادلنا الرأي حول ترتيبات الاحتفال، ثم افترقنا.

عدت إلى البيت لعلمي أستطيع كتابة شيء في النص المسرحي للفتيات والفتيان الذي تعاقدت عليه مع فرقة مسرحية محلية. يوم أمس لم أستطع كتابة حرف واحد. كل الذي استطعت فعله قراءة "مذكرات دجاجة" لإسحق موسى الحسيني، وهو كتاب تتحدث فيه دجاجة عن ظروف حياتها، على غرار ما تفعله حيوانات كليلة ودمنة، ومن خلال ذلك يقوم المؤلف بعرض أفكاره حول الإنسان والحياة والمجتمع. والكتاب ينتهي بدعوة عريضة من أجل إحلال السلام في كل بقعة من بقاع الأرض. والدجاجة الفلسطينية المسالمة لا ترفض من جاؤوا للإقامة معها في البيت

دون وجه حق، إنما تحاول أن تتعايش معهم. يكتب الحسيني هذا الكلام في العام 1943، أي بعد أربع سنوات من انتهاء ثورة 36-39، وقبل خمس سنوات من النكبة، وهو أمر يستحق التأمل من عدة أوجه، لجهة السلب والإيجاب.

أفكر بالموت، لكنني لا أخشاه، أو هكذا أدعي. كل ما يعنيني الآن أن أتمكّن من إنجاز أكبر عدد من الكتب. إذا أنجزت عشرة كتب في السنوات الاثنتي عشرة القادمة، فسوف أشعر كما أتوقع، بشيء من راحة الضمير.

انتهيت من الكتابة الأولى للنص المسرحي للفتيات والفتيان، والنص له علاقة بالحفاظ على البيئة، وقد سمته بـ "نحن والأوزون". سأعطيه يوم غد لأحد الزملاء كي يعلق عليه، لأنني في هذه اللحظة غير قادر على الحكم على ما كتبت. جاء النص في (19) صفحة من القطع الكبير، أي أن تمثيله على خشبة المسرح قد يستغرق خمسين دقيقة، وهو المطلوب تمامًا بحسب العقد الذي وقعته من أجل ذلك.

منذ انهمكت في كتابة هذا النصّ لم أقرأ سوى القليل، لكنني أشعر بارتياح نسبي، حيث انطلقت في كتابة النص المسرحي بهمة ونشاط، واستطعت إنجازه خلال فترة وجيزة بالرغم من المناسبات الاجتماعية الطارئة، وبالرغم من منغصات المحيط.

استلمت نصّ السيناريو الذي كتبه جبريل الشيخ استنادًا إلى كتابي "ظل آخر للمدينة"، وقد جاء في ثماني حلقات. سأقوم بمراجعته في الأيام القريبة القادمة.

الطقس معتدل، وليس ثمة مطر. يبدو أننا سنواجه سنة أخرى من
الجفاف وانحباس المطر.

ابتدأت نشاطي بتدريس محمود. جاءني مساء أمس وطلب مني أن أدرسه، فوعده خيرًا. وجدت أنه لم يتقدّم إلا قليلاً رغم مرور عدة أشهر على التحاقه بالمدرسة، والسبب يعود إلى عدم قيامه بتنفيذ الواجب المدرسي.

في دفتر الدين، كتبت له المعلمة أركان الإسلام الخمسة، وطلبت منه حفظها غيبًا. حينها ناقشته فيها وجدت أنه لا يفقه شيئًا في هذا الموضوع الذي ما زال بعيدًا من مداركه، وهو حينها يذكر الركن المتعلق بالصيام، فإنه يلفظه على نحو خاطئ قائلاً: صوم رمضان. وحينها حاولت أن أمثل له كيف كان الجاهليون يصلّون للأصنام، أغرق في الضحك، لأنه ما زال طفلًا يعيش براءته الأولى، ونحن نسعى إلى تدجينه وترويضه.

قرأت اليوم عددًا من قصص يوسف إدريس في مجموعته القصصية "لغة الآي آي" التي كنت قرأتها قبل أكثر من ثلاثين سنة. ثمة قصص لم

تعجبني بسبب نزعتها الأيديولوجية الطاغية، وقصص أخرى أعجبتني
لما فيها من رصد دقيق لانفعالات النفس البشرية.

الجمعة 11/26

قبل ساعة، قمت بتدريس محمود، علّمته بعض أحرف العربية، وطلبت منه أن يكتب الأرقام من 1 - 5، وقد فعل ذلك بطريقة مقبولة، إنه يتقدم، وقد كان جدّيّاً تماماً ومقبلاً على الدرس، وذلك على العكس من مسلكه في الفترة السابقة.

الطقس غائم وبارد نسبياً. هطل رذاذ خفيف في ساعات ما بعد الظهر.

جاء محمود درويش من عمان. أحضر لي معه رسالة من الناقد فيصل دراج، اشتملت على مقالة كتبها فيصل لـ "دفاتر ثقافية" حول الرواية العربية لمناسبة مرور مئة عام عليها.

تحدّثنا أنا ومحمود عن ردود الأفعال على نتائج جوائز فلسطين لهذا العام. أبدى استياءه من بعض الملاحظات السلبية التي وردت على السنة بعض المثقفين لأسباب غير موضوعية.

سألته عن أمسيته الشعرية في بيروت وعن قصيدته التي يمجد فيها الحياة ويستصغر شأن الموت، قال إن الصحافة اللبنانية قدّرت أنّ عدد الذين حضروا الأمسية تراوح بين ثمانية آلاف وعشرة آلاف شخص.

سلّمني نصّ الكلمة التي كتبها مارسيل خليفة بناء على طلب مني، حيث كنت أرسلت له رسالة على الفاكس بهذا الخصوص، وذلك لكي تُقرأ الكلمة في احتفال الجوائز. اقترحت عليه أن يقرأ الكلمة نيابة عن مارسيل، بعد أن يتسلم جائزة مارسيل نيابة عنه، لكنه لم يوافق، وذلك

لأنه سيلقي كلمة باسم لجنة الجوائز، وقال إنه لا يجب أن يتحدث مرتين، واستقر الرأي على أن أقوم أنا بقراءة الكلمة.

سألني محمود فيما إذا كنت أكتب شيئاً هذه الأيام. أخبرته بأنني أكتب بعض القصص القصيرة. قال إن عليّ أن أفتح ميدان الكتابة الروائية، لأن عصرنا هو عصر الرواية. وقال إن كتاب "ظل آخر للمدينة" بما اشتمل عليه من سرد، يشير إلى أن لدي قدرة على كتابة الرواية. قال إن على الكاتب أن يفعل كما يفعل النمل أثناء العمل، حيث يقوم النمل بجهود صغيرة لكنها مثابرة، وفي النهاية تظهر حصيلة العمل. قال إنه عمل بالطريقة نفسها وهو يكتب قصيدته الطويلة عن الموت، ففي كل يوم كان يكتب بضعة أسطر. تحدثنا عن صعوبة مهنة الكتابة، وعن متطلباتها، وقال إنه غير متعجل لإصدار قصيدته في كتاب، لأن ما يعقب ذلك يتعبه كثيراً. قال: أشعر بعد نشر كتابي بخواء. قلت: كأنك لم تكن كاتباً في أي يوم سبق. قال: بالضبط، وعليك أن تعيد شحذ قدراتك كأنك تبدأ من جديد. أعجبني هذا التوصيف الصادق لأنني أعاني من حالات مشابهة.

الساعة الآن هي الثامنة والربع مساءً. الطقس شديد البرودة. أمس، ليلاً، هطلت أمطار قليلة. مزاجي هذا اليوم لم يكن على ما يرام. تزعجني التفاصيل الكثيرة المتعلقة بجوائز فلسطين، وعلى أن أتابع هذه التفاصيل باستمرار.

أشعر بالضيق التام من العمل الوظيفي الذي يستنزف وقتي. أشعر بأن العمل في أجهزة السلطة الفلسطينية متعب تماماً، لأن الناس لم يتعودوا بعد على العمل المؤسسي، وهم قليلاً ما يتعاملون مع بعضهم بعضاً باحترام. بالنسبة إلي، فإنني أدعي أنني أتعامل مع زملائي باحترام، ودون تكبر أو تسلط، وفي الوقت نفسه فإنني لا أحب أن يتعالى أحد علي، أو أن يسيء إلي أحد.

كم أتمنى لو أنني أستطيع الاستغناء عن الوظيفة! كي لا أضطر إلى التعرض لإزعاج من أي شخص كان، وكم أغبط الناس الذي مكّنتهم

ظروفهم من تأمين عيشهم بحرية ودون حاجة إلى استجداء الوظيفة
والخضوع لبعض شروطها غير الإنسانية!
سأحاول الآن قراءة سيناريو فيلم عن القدس. ستجري مناقشته غدًا
في مكتب وكيل الوزارة يحيى يخلف.

ذهبت إلى المدرسة التي يتعلّم فيها محمود. فرح حينما رأي قادمًا. سألت المعلمة عنه، قالت لي إنه ذكي، غير أنه بحاجة إلى اهتمام خاص، وقالت لي إنه يشكو من أسلوب أمّه القاسي في تدريسه، وطلبت مني أن أتولّى أنا تدريسه، دون محاولة للضغط عليه، فأخبرتها أنني أدرّسه بين الحين والآخر، وسوف أستمّر في ذلك. إنه طفل ظريف، لكنه حتى الآن يتصرّف وكأنه أصغر من سنّه الحقيقي.

سأحاول في الأسابيع القليلة القادمة الانتهاء من رواية الفتيات والفتيان التي ابتدأت كتابتها قبل أشهر ثم توقّفت دون سبب، وبعد ذلك قد أشرع في كتابة رواية للكبار.

الطقس هذه الليلة، أقل برودة من الليالي السابقة. هطلت أمطار غير قليلة في الأيام الثلاثة الماضية.

الاثنين 12/20

اليوم ابتدأت إجازتي التي سوف تستمر اثني عشر يومًا. نمت هذا الصباح حتى التاسعة، ثم انهمكت في القراءة طوال اليوم. قرأت مئة صفحة في كتاب روبرتسون سميث: "ديانة الساميين". إنه كتاب ممتع، وفيه تتبّع لظاهرة التدينّ منذ نشأتها الأولى.

سأحاول استثمار هذه الإجازة في نشاط كتابي ملموس. سأذهب الآن إلى رواية الفتيات والفتيان التي تحمل عنوانًا مؤقتًا هو: "جبال بعيدة زرقاء".

كتبْتُ صفحةً أخرى في رواية الفتيات والفتيان، لكنني عدت إلى قراءة كل ما كتبته فيها فلم يعجبني ما كتبْتُ. قد أعود إلى كتابتها من جديد. واصلت القراءة في كتاب "ديانة الساميين"، وعرفت إلى أي حدّ كان الحجر مقدّساً لديهم، ولربّما انحدرت عبادة الأصنام في مكة قبل الإسلام من ذلك الأصل البعيد.

ذهبت لزيارة الوالد والوالدة هذا المساء. شربت عندهما كأساً من الشاي. تحدّثنا في شؤون شتّى. كانت الأحاديث بسيطة للغاية ولا تستدعي أي جهد عقلي. غادرتهما كي أعطي الحفيد محمود درساً. فرحت له هذه المرّة، فقد أقبل على الدرس باهتمام واضح، وكتب عدة صفحات (الأرقام من 1-5)، كما كتب بعض أحرف العربية. ثم أخذته من يده إلى الخارج، وطلبت منه أن يريني البدر. أشار بيده إليه وهو يتوسّط السماء، حاولت أن ألّقنه أهزوجة: "طلع البدر علينا"، غير أنه حتى الآن لا يستطيع أن يلفظ بعض كلماتها.

هذا هو اليوم الرابع من أيام إجازتي. ما زلت غير قادر على الكتابة، لكنني أستثمر الوقت في القراءة. قرأت رواية للإيطالي أنطونيو تابوكي اسمها "هذيان" تتحدّث عن الليالي الثلاث الأخيرة للشاعر البرتغالي فرناندو بيسوا. إنها رواية مكثّفة ظريفة. ثم بدأت قراءة رواية ثانية له اسمها "ليالٍ هندية"، وهي تتسم بقدرة كاتبها على خلق موضوعه الروائي من أبسط التفاصيل اليومية، مضافاً إليها حسّ الساخر وثقافته وتأملاته في الموت والحياة.

درّست الحفيد نصف ساعة، ولم أحتمل الاستمرار في تدريسه، لأنه كان ميالاً إلى العبث وعدم التركيز. شتمته. ردّ على الشتيمة بمثلها، ثم أنهيت الدرس. حمل حقيبته، وعاد إلى بيت أهله بهدوء.

نمت حتى الحادية عشرة صباحًا. لم أكتب أي شيء ليلة أمس. انهمكت في قراءة إعلانات صحيفة "معاريف" العبرية بحثًا عن سيارة لأمنية، لكنني لم أعثر على المطلوب (سيارة لا يتجاوز ثمنها الـ 15 ألف شيكل، وفيها خصائص معينة مناسبة لحالة أمانة الصحة).

استمتعت طوال اليوم بقراءة رواية أنطونيو تابوكي "بيريرا يدعي"، وهي مكتوبة بأسلوب رشيق، وفيها ميل إلى السخرية، علاوة على ما فيها من إدانة للقمع وتكميم الأفواه. هذا كاتب موهوب فعلاً، ولديه قدرات بارزة في كتابة السرد الروائي.

انتظرت برنامج "شاهد على العصر"، الذي يبثه تلفزيون الجزيرة، وكان المتحدث في البرنامج هذه المرة الدكتور يعقوب زيادين، الأمين العام للحزب الشيوعي الأردني. ما زال زيادين محتفظًا بحيويته رغم تقدّمه في السن، وقد لاحظت أن كثيرًا من مادة الحوار كان قد أورده

زيادين في كتابه "البدايات" (كتبت له مقدّمة ظهرت في أوّل الكتاب)،
خصوصًا ما يتعلق بنشأته الأولى ثم سفره للتعلّم في الجامعة.
أشعر بمتعة وأنا أتابع كل ما له علاقة بأحداث القرن الذي على
وشك أن ينتهي. مسلسل أم كلثوم، الحوار مع زيادين، وقبل ذلك الحوار
مع حسين الشافعي، نائب رئيس جمهورية مصر السابق.
الطقس بارد هذه الليلة. لم يهطل سوى مطر خفيف ليلة أمس. لم يكد
يبّلل وجه الأرض، وفي فنزويلا فيضانات أودت بحياة أكثر من ثلاثين
ألف شخص!

كتب نصًا قصصيًا لا أعتقد أنه مقنع، سأعيد النظر فيه لاحقًا. أشعر أن النار اللازمة للكتابة الإبداعية غير متوافرة في داخلي هذه الأيام. قرأت ما يزيد عن مئة صفحة في رواية "اسم الورد" للإيطالي إمبرتو إيكو. في الرواية جهد كبير، لكنني لا أحب الروايات المؤسسة على التاريخ، إلا ما ندر، وهذا موقف شخصي لا أدعو للاقتداء به. وعلى أية حال، فمن المبكر الحكم على هذه الرواية التي تقع في خمسمائة وخمسين صفحة.

قرأت كذلك خمسًا وسبعين صفحة في رواية "الفلسطيني الطيب" للشهيد علي فودة. كنت قرأت الرواية قبل عشرين سنة، وقد عدت إليها الآن، لأن د. عادل الأسطة طلبها مني، فخطر ببالي أن أقرأها مجددًا. مستواها الفني ضعيف، وهي مكرّسة لهجاء كاتب كانت بينه وبين علي فودة خصومة مستحكمة.

مزاجي هذا المساء ليس على ما يرام. أمين يشكو من عmy جزئي
أصاب عينه قبل أكثر من شهر، وقد أخبرني هذا المساء أن الطبيب
صارحه مؤخرًا بأن عينه لن تتحسن، وهناك مخاطر من انتقال المرض،
الناتج عن جلطة لم تعرف أسبابها حتى الآن، إلى عينه الأخرى. راوية،
زوجة خالد، حامل بطفل قد يولد منغوليًا. قبل سنوات ولدت طفلًا
مريضًا بالقلب، عاش شهرًا ثم مات. أما المشكلة الأكبر، فهي أمينة
المصابة بضعف عضلي مزمن ظهرت أعراضه منذ أن أصبحت في
العشرين من عمرها.

قبل قليل، جاءني محمود يلح علي كي أعطيه درسًا. طلبت منه أن
يؤجل ذلك إلى مساء الغد. ظلّ مصرًا على تلقي الدرس هذا المساء، وها
أنذا أسمع صوته يلعلع في البيت أمام دفتري وقلمه.

إجازتي توشك على الانتهاء. لم أكتب شيئاً جدياً طوال أيام الإجازة، لكنني قرأت عشرة كتب. قبل يومين اشتريت ستة كتب لها علاقة بالصحة العامة، قرأت أربعة منها حتى الآن. يبدو لي أنني دخلت مرحلة جديدة في حياتي لها شروطها ومتطلباتها، وعلي أن أعيش باعتدال وحذر، ومن دون تطلّعات طموحة. سيفرض علي هذا الأمر نظاماً جديداً، سأقلّص من انهماكي في القراءة، وسأحاول الاكتفاء بقراءات محدّدة في ميادين محدّدة، ولن أمارس الكتابة كما لو أنها واجب يومي.

أحياناً توقعني الكتابة في مآزق مؤلمة. قبل يومين، كنت أتهيأ لدخول بنك القاهرة عمان في رام الله. تقابلت عند الباب بالضبط مع شخص أعرفه. بادرته بالتحية فلم يردّ على تحيتي، ناديت به باسمه، لكنه ظل معرضاً عني، ألحقته شتيمة سمعها بأذنيه الاثنتين، ثم رحلت أفكّر في أسباب هذا الموقف المفاجئ، ولم أجد من سبب سوى كتاب "ظل آخر للمدينة"، حيث إنني لم أذكر اسم هذا الشخص في الكتاب، فاعتبر ذلك تجاهلاً له،

علماً بأنني لم أقصد تجاهله، والذين ذكرتهم في الكتاب من الأصدقاء
والمعارف، كانت لهم علاقة مباشرة بمدينة القدس.

والحال أننا مجتمع متخلف، نشخصن أية مسألة ونعتبرها مأسّة
بدواتنا حتى لو لم تكن كذلك. أتألم كثيراً حينما يأخذ بعض الناس موقفاً
مني، انطلاقاً من أوهام متوهمة أو من وساوس وتصوّرات، معتبرين
أنني أسيء إليهم، مع أنني لا أفكر بالإساءة لأحد، وليس من طبعي أو
من أخلاقي الإساءة إلى أحد.

الجمعة 12/31

اليوم الأخير في إجازتي. اليوم الأخير في السنة. بعد أربع ساعات من الآن يبدأ العام 2000، ويبدأ العدّ التنازلي بعد هذا العام، لقرن جديد وألفية ثالثة. إذاً هي ساعات مدهشة، يصحّ فيها التأمل وتسريح النظر في الماضي.

هذا المساء، وأنا أتمشى فوق سطح الدار، كنت أتأمل المكان من حولي، وأتذكّر بعض رموز القرن العشرين، الأحياء منهم والأموات: جمال عبد الناصر، لينين، طه حسين، أم كلثوم، غارثيا ماركيز، نجيب محفوظ، ياسر عرفات، محمود درويش، فؤاد نصّار، خليل السكاكيني، إميل حبيبي، توفيق زياد، جورج حبش، ماير فلنر، فيلتيشيا لانغر، فدوى طوقان، جدّي عليان الذي مات في العام 1961، وأختي أمينة التي ماتت في العام 1966.

تذكّرت من عاشوا في الألفية الثانية: المتنبي، المعري، ابن رشد، ابن سينا، ابن خلدون، وليم شكسبير، وعمر بن الفارض. تذكّرت بعض

الأحداث الجسام التي وقعت في هذا القرن: مأساة الشعب الفلسطيني التي ما زالت دون حلّ حتى الآن. انتصار الثورة الاشتراكية في روسيا ثم انهيارها. تشظّي كثير من مجتمعات العالم الثالث في زمن العولمة، واندلاع الحروب الإقليمية في أمكنة عدّة. تذكّرت بعض الأحداث التي وقعت في الألفية الثانية: دخول العرب إلى الأندلس وخروجهم منها. اكتشاف أمريكا. حكم العثمانيين للعرب. استعمار بريطانيا وفرنسا للعالم العربي وخروجهما منه بعد صراعات مريرة.

هذا المساء، قلت: والدي على وشك أن يجتاز القرن العشرين، والأمر نفسه ينطبق على الوالدة. قد يعيش الوالد سنة أخرى أو ثلاث سنوات، وقد تعيش الوالدة ثلاث سنوات، أو خمسًا. وقد أعيش أنا حتى العام 2010، وربما أقلّ من ذلك.

هذا المساء، تأملت ما سوف يكون عليه القرن الجديد، قد يكون حافلاً بالإنجازات العلمية والطبية التي تقضي على الأمراض وتطيل عمر الإنسان، وقد يكون قرناً للسلم والتعاون بين الشعوب، وقد تحدث إنجازات مذهلة على صعيد معرفة أسرار الفضاء. وقد تحدث كوارث طبيعية وحروب. قد يستمرّ تلويث البيئة على نحو مدمّر. قد يزدهر الفن والأدب، لكن بالاستفادة من منجزات الكمبيوتر والإنترنت. وتساءلت: ما هو مصير الكتاب بشكله الحالي؟ وكيف ستكون الرواية؟ وهل سوف

تستمرّ القصة القصيرة والشعر؟ واللغات! هل سوف تشهد اندماجًا في ما بينها؟ هل سوف تندثر لغات وشعوب وثقافات؟

خلال القرن الجديد، لا بدّ من أن يحصل الشعب الفلسطيني على حقّه في الحرية والعودة وتقرير المصير والاستقلال، وعلى الإسرائيليين أن يشعروا بالخزي، لأنّ قرنًا جديدًا سوف يبدأ وحكام إسرائيل ما زالوا يستعبدون الشعب الفلسطيني. خلال القرن الجديد سيموت معظم أفراد عائلتي. الحفيد محمود الذي يبلغ الآن من العمر سبع سنوات، لن يتمكّن من دخول القرن الثاني والعشرين، سيكون عجوزًا هرمًا قبل نهاية القرن الواحد والعشرين، ربما استطاع أحد أبنائه من مواليد العام 2030 عبور القرن الثاني والعشرين، وقد لا يتذكّر هذا الابن أقاربه الذين طواهم الموت قبل ذلك بسنين.

- انتهى الجزء الأول -

مدر الكاتب:

1- الحاجز/ مجموعة قصصية للأطفال. دار الكرمل للنشر والتوزيع، عمان، 1986.

2 - الجندي واللعبة/ مجموعة قصصية للأطفال. دار ابن رشد للنشر والتوزيع، عمان، 1986.

3- أغنية الحمار/ مجموعة قصصية للأطفال. دار الكرمل للنشر والتوزيع، عمان، 1988.

4- مهنة الديك/ مجموعة قصصية للأطفال. منشورات مركز أوغاريت للنشر والترجمة، رام الله، 1999.

5- قالت مريم.. قال الفتى/ قصة طويلة للفتيات والفتيان. منشورات اتحاد الكتاب الفلسطينيين، القدس، 1996.

6- أنا وجمانة/ رواية للفتيات والفتيان. منشورات مركز أوغاريت للنشر والترجمة، رام الله، 2000.

7- طيور على النافذة/ قصة للأطفال. منشورات الأونروا/ دائرة التربية والتعليم، القدس، 2001.

8- الولد الذي يكسر الزجاج/ قصة للأطفال. منشورات الأونروا/ دائرة التربية والتعليم، القدس، 2001.

- 9- تجربة قاسية/ قصة للأطفال. منشورات الأونروا/ دائرة التربية والتعليم، القدس، 2001.
- 10- الربان/ ثلاثة نصوص مسرحية للفتيات والفتيان. منشورات مركز أوغاريت للنشر والترجمة ، رام الله، 2003.
- 11- الخطاب/ حكاية شعبية. دار الشروق للنشر والتوزيع، رام الله، 2004.
- 12- الملك الصغير/ قصة للأطفال. منشورات الأونروا/ دائرة التربية والتعليم، القدس، 2004.
- 13- علاء في البيت الصغير/ قصة للأطفال. منشورات الأونروا/ القدس، 2004.
- 14- قالت لنا الشجرة/ مجموعة قصصية للأطفال. منشورات مركز أوغاريت للنشر والترجمة ، رام الله، 2004.
- 15- كوكب بعيد لأختي الملكة/ رواية للفتيات والفتيان. منشورات تامر للتعليم المجتمعي، رام الله، 2007.
- 16- خبز الآخرين/ مجموعة قصصية. منشورات صلاح الدين/ القدس، 1975 .
- 17- الولد الفلسطيني/ مجموعة قصصية، منشورات صلاح الدين/ القدس، 1977 .

- 18- طقوس للمرأة الشقية/ قصص قصيرة جداً. منشورات دار ابن رشد، عمان، 1986.
- 19- صمت النوافذ/ قصص قصيرة جداً. منشورات الأهالي، دمشق، 1991.
- 20- ظل آخر للمدينة/ سيرة للمكان. منشورات دار القدس، الطبعة الأولى، القدس، 1998. دار محمد علي للنشر، الطبعة الثانية، تونس، 2009.
- 21- مرور خاطف/ قصص قصيرة جداً. دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، 2002.
- 22- صورة شاكير/ مجموعة قصصية. المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2003.
- 23- ابنة خالتي كوندوليزا/ مجموعة قصصية. المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2004.
- 24- باحة صغيرة لأحزان المساء/ قصص قصيرة جداً. المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2004.
- 25- مدن فاتنة وهواء طائش/ رحلات. المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2005.

- 26- احتمالات طفيفة/ قصص قصيرة جداً. المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2006.
- 27- مرايا الغياب/ نصوص نثرية. المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2007.
- 28- كلب أبيض ذو بقعة بيضاء/ قصة للأطفال. مركز أوغاريت للنشر والترجمة، رام الله، 2008.
- 29- القدس وحدها هناك. دار نوفل للنشر، بيروت، 2010 .
- 30- قالت لنا القدس/ نصوص، يوميات وشهادات. وزارة الثقافة الفلسطينية، 2010.
- 31- أحلام الفتى النحيل/ رواية للفتيات والفتيان. مؤسسة تامر للتعليم المجتمعي، رام الله، 2010.
- 32- مدينة الخسارات والرغبة/ دار نوفل للنشر/ بيروت/ 2011
- 33- رحلة الحمار وقصص أخرى/ قصص للأطفال. منشورات الزيزفونة، رام الله، 2011.

البريد الإلكتروني: shukair@hotmail.com

الموقع على شبكة الانترنت: www.mahmoudshukair.com